

أبو طالب

طود الإيمان الراسخ

تأليف: فيصل حسن

أبو طالب طود الإيمان الراسخ

تأليف
فيصل حسن



الإهداء

لا عذب الله أمة إنها شريت

حب الوصي وغذتيه باللبن

وكان لي والد يهوى أبا حسن

فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

أهدى ثواب هذا العمل المتواضع

لوالدي ولكل من أعانني على أخراج هذا الكتاب الذي يحمل
بفخر أسم أبي طالب عليه السلام

المقدمة

طوبى لمن كان هدفه الله جل وعلا في كل شيء .. عندما يمشى
عندما يفكر عندما يقرأ ، عندما يكتب ..
من كان هدفه الله .. ربحت تجارته وإن أدقع في الفقر.

وعندما نبحث عن رضاه جل وعلا، نجده في رضا من أشار
إليهم، وحبه في حب من أشار إليهم فرضا الله في رضا رسوله ﷺ .
وحب الله جل وعلا في حب رسوله ﷺ ومن يحبه الرسول ﷺ
كأهل بيته الأطهار كما أشار الرسول ﷺ "أحب الله من أحب
حسيناً" وكذلك عندما قال: "أن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب
لغضبها" .

وكذا " من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله " .
فمن يؤدي رسول الله ﷺ في أحد من أحبته فقد آذى الله جل وعلا
ورسوله ﷺ وأستحق بذلك عذابه .
كما جاء في كتابه العزيز " **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ** .. " (سورة التوبة آية ٦١)

والغيرة على رسول الله ﷺ وأحبته هي غيره لله، والله غيور
يحب الغيور وقد كان منشأ هذا الكتاب هو الغيرة لله ورسوله
بالغيرة على عم رسول الله ﷺ ممن أساء إليه .

فإذا كنت ممن صدق ما قيل زوراً في عم رسول الله ﷺ
فاقرأ هذا الكتاب .. قرية إلى الله تعالى .. وبنيه خالصة، وكن
حراً ولا تكن عبد غيرك.

فإذا استفدت من هذا الكتاب فأسألك الدعاء والسلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصدق بوابتنا للحقيقة

بالصدق عرفنا رسول الله ﷺ بأنه رسول الله، ولأنه صادق أمين واشتهر بذلك بين كل قومه، فقد صدقناه وقد استدلل ﷺ بذلك عندما جمع قومه وسألهم بأنه لو أخبرهم بأنه خلف هذا الجبل عدواً، فهل سيصدقونه؟ فكان جوابهم بالإيجاب؛ إذن فكل ما سيخبر به هو حق وسيكون حجة؛ لأنه صادق، فمبدأ الصدق مبدأ عظيم، ومن خلاله ثبتت الحجة علينا بأنه رسول الله ﷺ وأن كل ما جاء به هو من الله سبحانه وتعالى.

والصدق - في الوقت ذاته - مبدأ خطير جداً، فلو صدقنا أي شخص يدعي الصدق دون تثبت، أو اعتمدنا على الآخرين فسوف نقع في أشد المخاطر وسوف نسلك المتاهات المهلكات، إذن علينا أن نكون في غاية الحذر من أن نكون بسطاء سذجاً نصدق كل ما يقال لنا فنصدق عكس ما قاله لنا الصادق الأمين فنكون كأننا لم نصدق، ولم نصدق ما جاءنا به من كتاب الله العزيز، وبهذا نكون قد رجعنا إلى التيه مرة أخرى، بل يجب أن نرفض كل ما جاء من أخبار تتعارض مع ما جاء به الصادق أيّاً كان المصدر، فلننكذب أي إنسان عادي أسهل من أن نكذب الصادق الأمين.

وكذلك لو جاء ما يُنقص من قدر الصادق الأمين على لسان من يدعي الصدق فمن السهل علينا أن نكذبه وذلك أهون من أن نقبل ما ينقص من قدر ومكانة ومنزلة نبينا العظيم.

فلو أخبرنا شخص جليل القدر، عالم، فاضل، بما يقلل من قدر نبينا ﷺ فلو قلنا بكذبه ثور علينا نائرة محبي هذا العالم لكن ذلك أسهل من تصديق ما جاء به بما ينقص قدر نبينا ﷺ.

وأظن أن الكل يقبل هذا المبدأ، وأنت أيها المسلم الغيور أظنك أول من يقبل بذلك، لكن مهلاً، هل جربت نفسك وامتحنت وجدانك في تصديقك خبر ما؟

فهل أنت حر في تصديق الخبر أم أنك لا تملك خياراً أمام ما يقوله فلان وفلان وتلك الجماعة وهاتيك الملة؟

اختبر حريتك الفكرية، أنتبه قد تقول قد وردت في ذلك روايات أو حديث في كتاب صحيح وتنسى أن الله قد تكفل بحفظ القرآن من التحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) لكن هل ورد ما يدل على حفظ كتب الحديث المتداولة بين المسلمين؟

قد تقول هناك قواعد تضمن صدق هذا الحديث من ذاك، لكن ما تقول لو تعارض ذلك مع القرآن نفسه؟

فإذا لم تقبل هذا المنطق تكون قد وقعت في محذور الخشية من

تكذيب شخص ما، وعدم الخشية من تكذيب الصادق الأمين، وتخشى أن تنتقص من شخص عادي ولا تخشى أن تنتقص من شخص الرسول، انتبه فأنت على المحك الذي يكشف المعدن الثمين من غيره.

ماذا قال الجليل سبحانه وتعالى عن أخلاق رسول الله ﷺ؟

وعندما يتكلم الله سبحانه فإنه أصدق القائلين فقد قال الله في كتابه

قولاً فصلاً جلياً عن رسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

عندما يقول الله سبحانه عن شيء أنه عظيم فهو عظيم. بعين الله فتصور ماذا يكون وبأي درجة من العظمة، وعندما نعلم أن الرسول هو سيد المرسلين وأفضل المرسلين، ونعلم ما كان رُسل الله عليه من عظيم الأخلاق وأن الرسول سيدهم فإن خلقه أعظم من خلق كل الأنبياء والمرسلين.

إن الله سبحانه أحترمه أشد الاحترام فلم يناديه باسمه كبقية الأنبياء أبداً، بل جاءت مناداته بـ (أيها النبي) و(يا أيها الرسول).

قبل أن نبدأ بهذه النقطة فلنلقي نظرة بسيطة موجزة ونبذة مختصرة

عن أخلاق النبي العظيم ﷺ.

إن الله اصطفى من خلقه مجموعة على قدر عال من الصفات الخلقية والنفسية، وهم سادة الخلق وهم والأنبياء، ثم اصطفى أعلاهم قدراً ومنزلته وهو خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهم قمة القمم في كل شيء، في الصفات الخلقية والنفسية وكون العرب تسميه الصادق الأمين فهذا ليس أمراً هيناً، إذ

أنّ الإنسان لا يوصف بصفة معينة من خلال بعض الحالات التي تصدر منه، وإنما لملازمة الحالة له بشكل دائم وهذا يعني أن رسول الله محمد ﷺ كان قطعة من نور تمشي على الأرض تلفه هالة من العظمة والسمو في جميع جوانب شخصيته الكاملة حتى هال بريقه الساطع قرش فاشتهر بينهم بشكل جعل صدور أي نقيصة في حقه ضرباً من المستحيل عند صاحب أدنى عقل فيهم.

بعض القصص التي تدل على سمو خلق الرسول ﷺ .

جاء إعرابي ودخل على رسول الله ﷺ وجرّ النبي من ملابسه إلى درجة أن ثوبه أثر في عنقه الكريم، فهجم عليه أصحاب النبي ﷺ فمنعهم وكلمه بكل رقة وقضى حاجته.

ومن خلقه أنه إذا صافحه أحد لا يترك النبي يده حتى يترك الآخر هو يد النبي، وكان يعين الخادم في طحن الحنطة إذا أعبى.

أظنك أيها المسلم الغيور عرفت ما أريد أن أقول!!

هل تقبل أن يقال عن نبيك ﷺ: أنه عندما جاء ضرير فقير يريد أن يتعلم منه عبسَ وتَوَلَّى في وجهه، قف أيها المسلم الغيور وأغلق الكتاب وتأمل مع نفسك وأطرح هذا السؤال على نفسك ألف مرة: لو كنت أنت مكان الرسول ﷺ وجاءك أعمى ضرير فقير يريد أن يتعلم، فهل كنت ستعبس في وجهه وتصد عنه؟ قف وتأمل أرجوك قف وتأمل وأجب هل تتوقع ذلك مجرد توقع من نفسك أن تعامل فقيراً ضريراً بأي سوء وأمام مرأى الناس؟ وأظن أنّ أي إنسان حتى لو كان ذا خلق عادي لا يُقابل

ضريراً بهذا السوء، إذ أن الضرير دائماً محط عطف الناس، ولو سمح أحد لنفسه عكس ذلك فالحياء يمنعه من أن يراه الناس يعامل ضريراً فقيراً بسوء ولنترك العبوس جانباً، إذ أن هناك معنى آخر أخطر منه وهو خيانة الأمانة في إرشاد من يريد الإرشاد والإقبال على صاحب الثروة!!

أهذا الذي يقول القرآن عنه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١) يمكن أن يعبس بوجه فقير بائس؟

عن أي عظيم نتكلم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَانْتَبَهَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَانْتَ عَنَّا تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾^(٢)؟

وهنا لابد لنا أن نقف عند هذه الآية وتفسيرها إذ ذكرناها على سبيل المثال في موضوع الصدق والتصدق، ثم نعود لأصل الموضوع بعد بيان الآية وأخذ العبر من التفسير الصحيح وغير الصحيح.

التفسير الصحيح

لقد عبس عثمان بن عفان، أي قطب وجهه وتولى أي أعرض عن الأعمى ابن أم مكتوم عندما جاء مجلس الرسول ﷺ فجمع عثمان بن عفان نفسه مستغنياً منه وأعرض بوجهه عنه.

(١) سورة النجم: ٨-٩.

(٢) سورة عبس: ١-١١.

وبعد أن وصفت الآية الحالة، يتوجه القرآن بالخطاب المباشر (وما يدريك) قاصداً عثمان، أي ما يدريك يا عثمان لعله يكون طاهراً زكياً يتعظ فتنفعه الذكري، أي الموعظة، أما من استغنى أي الغني بالمال فأنت له تصدى (أي تقبل عليه) وما عليك إلا يزكى (أي لا تهتم في أنه غير طاهر، وأما من جاءك يسعى طالباً للخير، وهو يخشى الآخرة فأنت عنه تلهي، (أي تتشاغل ولا تهتم بشأنه، والآيات في معرض الإنكار فلا تكن هكذا، أنها أي سورة تذكرة (أي مذكّرة) فمن شاء ذكره (أي اتعص).

قد يقول قائلًا: إن هذا التفسير يريد أن ينتقص من شأن عثمان وغاب عنه كيف لا يقبل على عثمان ما قبله عن رسول الله ﷺ.

التفسير الخاطي

فهو ببساطة أن هذا المعنى في الآيات هو رسول الله ﷺ والعياذ بالله. نعم، نقول: أن من نقل لنا هذا المعنى المرفوض جملة وتفصيلاً نقول: بأنّه خاطئ خير لنا من أن نقول: إنّ رسول الله خاطئ.

لو فرضنا - جدلاً - بأن رسول الله ﷺ قابل شخصاً ضريراً بهذه المقابلة السيئة المذكورة في الآيات السابقة واستقبل الأغنياء بترحيب وكان ذلك قبل أن يدعو الناس للدين وسمعت العرب بذلك، فهل كانت ستؤمن بأنّه الصادق الأمين؟ وهل كانت ستصدق في الأمور الغيبية؟ هل تصدق أيّها المسلم الغيور - دون الرجوع إلى أي كتاب حديث - أن نبيك بهذه الأخلاق وبهذه النفسية، فإذا صدقت فكأنك تصدق من يقول لك أن الرسول غير صادق وأنه كاذب والعياذ بالله، لأن الثقة ليس بثقة عندما ينقل

لنا خبراً يطعن بمن شهد له القرآن بسمو الأخلاق وعظيم الأدب، ولا أحسب أن الله يصفُ شخصاً بأن خلقه عظيم وفيه ما يخلُ بتلك الدرجة، دع صورة رسول الله ناصعة بيضاء زكية في ذهنك، أليس القرآن يفسر بعضه بعضاً كما في الخبر، ما معنى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

حكى أن رسول الله ﷺ - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام - اشترى فرساً من شخص فأنكر على رسول الله ﷺ، وإذا بخزيمة بن ثابت يشهد لرسول الله ﷺ أنه اشترى الفرس فبهت ذاك المنكر على رسول الله، لكن رسول الله بعد ذلك يسأل خزيمة بن ثابت الذي شهد ولم يكن حاضراً: ما حملك على الشهادة، ولم تكن معنا؟ فيجيب خزيمة صاحب البصيرة الثاقبة واليقين الراسخ بجواب بسيط بساطة الحقيقة الناصعة عميق عمق الإيمان الصادق، جواب قد لا تجده عند كثير من المدعين الإيمان: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢) جواب خزيمة هذا نهج ورسالة وحكمة يحتاجها الكثيرون ممن قرأوا المجلدات وألفوا الموسوعات جواب ينبع من نفس مؤمنة صدقت رسول الله تصديقاً يجعلها تبذل الروح وتنتظر الغيب كأنه اليقين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

بِالْغَيْبِ^(١).

قال خزيمة في جوابه للنبي المصطفى ﷺ:

(صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً).

فاستحسن ذلك رسول الله ﷺ واعتبر شهادة خزيمة بعد ذلك بشهادتين فلقب بذي الشهادتين وصارت شهادته عند المسلمين بشهادتين.

قال رسول الله: من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه. والرواية كما

يذكرها ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢، ص ١١٤:

(أن النبي ﷺ اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي، فجمده

سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ما حملك

على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً، قال: صدقت بما جئت به وعلمت أنك

لا تقول إلا حقاً، فقال ﷺ من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه).

والغريب في الأمر أن نصدق كلاماً ظالماً في حق سيد الخلق نأخذها

ممن تكررت منه الأحاديث الخاطئة غير الصحيحة عقلاً ومنطقاً ويخجل

كل ذي عقل أن يصدقها أو حتى يحتمل صدقها وتصديقها خيانة لله

ورسوله، وقد يدخل من صدقها بالشرك الخفي أو الكفر الصريح، أو

بالعقيدة الخاطئة أو السفهية أو ما شابه ذلك، فمثلاً:

(١) أخرج الشيخان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن

أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ ... إلى أن قال: قال الله تعالى للجنة أنت

رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله بها رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض^(١).

أنتبه أخي المسلم: لقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) فجهم سيملاها الله من الشياطين واتباعهم من العصاة فما الحكمة من أن يضع الله رجله والعياذ بالله في جهنم حتى تمتلئ. ثم كيف نعتمد على أخبار من ينقل تلك الأحاديث في إحقاق الحق؟

انظر إلى عظمة الآيات القرآنية وعلو شأنها وانظر كيف يصف الله نفسه في القرآن جل شأنه ثم قارن ذلك بذلك الكلام السابق: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) وآية الكرسي العظيمة، و﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤).

(١) البخاري، تفسير سورة ق، ج ٣، ص ١٢٧. وأخرجه مسلم، ج ٢، ص ٤٨٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) سورة الزمر: ٦٧.

حديث عن عظمة الله حسب القرآن وروايات أهل البيت عليه السلام ومن نهج البلاغة

من صفات الله عز وجل يقول الإمام علي عليه السلام: «الأحد لا بتأويل
عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب، والسميع لا بأداة، والبصير لا بتفريق
آلة من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه،
ومن قال أين فقد حيّزه» الخ.

وفي خطبة رقم ٨٩ قال: «.... ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر
عقلك فتكون من الهالكين»، ويخاطب ربه: «وأشهد أن من ساواك بشيء
من خلقك فقد عدل بك والعاذل بك كافر بما نزلت به محكمات
آياتك.....».

إن الله عظيم ومن عظمته أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) ﴿لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٢) ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٣).

(٢) هل تصدق أخي المسلم أن الله يقول لأحد العصاة أذنب كما
شئت فقد غفرت لك؟ إلا يكون ذلك مدعاة لأقتراف الذنوب والتهاون في
طاعة الله وعدم خشيته؟ ألم يقل الله في كتابه العظيم ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

الآن وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(١).
وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٢).

بينما نجد حديثاً عجيباً ينقله أبو هريرة حيث يقول: (أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم أغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فلم يعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، فقال: ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر ويأخذ بالذنب، أعمل ما شئت فقد غفرت لك)^(٣).

وأترك لك أيها القارئ الكريم التعليق والحكم على هذا الحديث، فقط أقول أليس حرياً بمن ينقل هذه الأحاديث أن يتروى ويتأنى.

قد يقول البعض أن شيوخ الصحاح والرواة قد تحققوا من الأحاديث وفق قواعد تضمن صحة الروايات ولا ينبغي أن نخضع الرواية بعدهم للعقل والتفكير والتمحيص، فنقول لهم: إن الله قد دعانا في القرآن العظيم مراراً وتكراراً إلى التدبر والتفكير والتأمل ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٤) ﴿لَا يَاتِ

(١) سورة النساء: ١٨.

(٢) سورة الحاقة: ٤٤-٤٧.

(٣) مسلم، ج ٢، ص ٤٤٥.

(٤) سورة النساء: ٨٢.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٣﴾.

ثم أن هناك دعوة من العقل والنقل لأن نضرب كل ما يخالف القرآن عرض الحائط، لأن القرآن هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم بعد الكلام عن نص الحديث ووجوب عدم تصديقه إذا عارض العقل والقرآن لنتقل إلى موضوع الراوي نفسه ولنتدبر ولنتحقق منه من عدة جوانب شخصية وتاريخية ومنطقية لنكون في مأمن على حريتنا الفكرية فلا نسمح لأحد بمصادرتها ولا نسلّم عقولنا إلا لله ولرسوله، أما غير هؤلاء فيجب أن نكون على أشد الحذر منهم، إذ في المسألة دين وآخره ومصير لا يمكن التهاون فيه وقد قال الحق جل شأنه الذي هو أرحم الراحمين على البشر وأكثر حباً لهم من أمهاتهم وهم في مهدهم، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾.

لا محاباة في الدين، ولا محاباة في العقيدة، ولا محاباة في المصير، ولا نريد له أن يكون إلى سوء أو إلى مجهول فالفرصة واحدة لن تتكرر، إذ

(١) سورة الروم: ٢٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٦.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

بعد الموت حساب ولا عمل ولن تُرجع مهما كررنا ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(١).

لنعود إلى موضوعنا، إذ ذكرنا بعض الأحاديث المروية عن أبي هريرة كأمثلة فلنستعرض بعض الجوانب لهذه الشخصية بشيء من الإيجاز كمثال لموضوعنا.

أسلم أبو هريرة في السنة السابعة للهجرة النبوية باتفاق أهل الأخبار بعد فتح خيبر فكانت صحبته للنبي ﷺ ثلاث سنوات كما صرح أبو هريرة بنفسه في حديث أخرجه البخاري^(٢).

فكم ينبغي أن يروي من الأحاديث من حيث الكم؟ أنت أيها القارئ تأمل وفكر وتوقع! هل من الممكن أن يروي أحاديثاً أكثر من الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع أو أكثر من إحدى زوجات النبي أو من أحد الهاشميين أبناء عمومته الملاصقين له؟!

فما قولك لو علمت أنه روى أكثر من الخليفة الأول وأكثر من الخليفة وزيد الثاني وأكثر من الخليفة الثالث وأكثر من الخليفة الرابع، وأكثر من زوجات النبي ﷺ واحدة بعد أخرى وأكثر من أي أحد من الهاشميين لكن ما تقولونه يا ذوي الألباب إذا علمتم أنه في ثلاث سنوات روى أكثر من مجموع ما رواه أولئك الذين ذكرناهم مجتمعين، مع تأخر

(١) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٢) باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٢، ص ١٨٢.

إسلامه عن الخلفاء الأربعة وحضورهم في مسرح الأحداث خلال (٥٢) سنة، وبملازمتهم للنبي ﷺ خلال (٢٣) عاماً^(١)!!

فقد أورد الخلفاء الأربعة (١٤١١) حديثاً، بينما روى أبو هريرة وحده (٥٣٧٤) حديثاً، وهل انتهينا؟

لم ننته بعد، فقد روى أبو هريرة قال: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحده فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم^(٢).

وقال: لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر، وقال: يقولون أكثر يا أبا هريرة والذي نفسي بيده لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله ﷺ لرميتموني بالقشع ثم ما نظرتُموني^(٣).

وقال: حفظت من رسول الله خمسة جرب فأخرجت منها جرايين ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة^(٤).

ولو لاحظت أخي القارئ الكريم في تصريحات أبي هريرة تجد وتلاحظ إحساساً بالخوف عن رفض رواياته من قبل الناس لما تحمله من انعدام قبول العقل والمنطق لها ويصرح بأن لديه الكثير منها بل الباقي أكثر من الذي بثه.

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) البخاري، ج ١، ص ٢٤.

(٣) الطبقات، القسم الثاني، ج ٤، ص ٥٧.

(٤) أخرجه أبو نعيم من أحوال أبي هريرة، ص ٣٨١، في خليفته.

ولا ألومه في ذلك فكيف لا يخشى من أن ينقل عن رسول الله أن الله أخبره أن موسى كلم الله ذلك النبي صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات الساحرة يلطم ملك الموت فيفقا عينه لأنه جاءه قابضاً روحه، فيرجع إلى الله أعور العين ولا يستطيع أن يقبض روح موسى وبعد هذه الحادثة صار يأتي عزرائيل متخفياً للناس قابضاً أرواحهم بعد أن كان يأتيهم جهاراً، لا تتعجب، نعم هذه رواية جاءت عن أبي هريرة، والرواية كما جاءت حرفياً هي كما يأتي:

أخرج الشيخان في صحيحهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: أنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ففقا عيني، قال: فرد الله عينه وقال: أرجع إلى عبدك فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارث بيدك من شعره تعيش بها سنة. الحديث ^(١).

بماذا يستطيع الإنسان أن يعلق على هذا الحديث وكما يقولون لا تعليق سوى أن يكون الإنسان على حذر شديد مما يقرأ ويسمع خصوصاً إذا كان يمس صميم العقيدة أو يحدد المسار ووجهته، وبأي سفينة ستكون رحلة حياته.

وهنا أعلم أن كثيراً ممن يقرأ هذا الكلام تثور ثائرتهم غير على أبي هريرة لكونه صحابياً، لكن الأجدر بأن تأخذنا الغيرة على أنبياء الله الذين

(١) مسلم، ج ٢، ص ٣٠٩، البخاري، ج ١، ص ١٥٨، ج ٢، ص ١٦٣.

مستهم أحاديث أبي هريرة ولتأخذنا الغيرة على عقولنا التي لا نستطيع أن نفقد الثقة بها ونهبط بها إلى مستويات لا يصبح لها بعدها قيمة فالعقل نبي باطن، وبه يشب الله ويعاقب وبه عرفنا الله وبه أدركنا عظمتة ووحدانيته، هذا العقل لا بد أن تكون له كلمة ويكون له موقف^(١).

فكون الإنسان قد صحب النبي، فعليه أن يكون شديد التمسك بآداب صحبة رسول الله وشديد الاحترام والتبجيل لها فهو تكليف إلى جانب أنه تشريف والصحابة أنفسهم لم يخالفوا هذا الرأي ولم يعتبروا صحبة النبي تنزيه وعصمة ولذلك نراهم ينتقدون بعضهم ويحاربون بعضهم، وهذا الخليفة الثاني نجده يعزل أبا هريرة بعد أن ولاءه على البحرين ويتهمه بالاستغلال وحتى أنه ضربه مرة وأدامه.

فقد جاء في الخبر أن الخليفة الثاني ولاءه على البحرين سنة ٢١ هجرية، وجاء أيضاً: لما كانت سنة ٢٣ عزله وولى عثمان بن أبي العاص الثقفي^(٢)، ولم يكتف بعزله حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف درهم زعم أنه سرقها من مال الله في قضية مستفيضة.

وجاء في كتاب (العقد الفريد) في جزئه الأول: (دعا الخليفة الثاني أبا

(١) الكافي، ج ١، ص ١٠، الحديث: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما أتني إياك أمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أئيب.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٥، ص ٣٢١.

هريرة فقال له: علمت أنني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف وستمئة دينار، قال: ليس لك ذلك، قال: بلى والله وأوجع ظهرك ثم قام إليه بالدرة فضربها بها حتى أدماه، ثم قال: انت بها، قال: احتسبها عند الله، قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أبحث من أقصى البحرين يجني الناس لك لا الله ولا للمسلمين؟ ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر^(١).

وقال له كما جاء في الطبقات: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله^(٢)؟

وهناك الكثير من الأمثلة حول ما جاء من أحاديث على لسان أبي هريرة تثير غرابة الإنسان الباحث لشدة مناقضتها مع أصول الإسلام ومساوقتها للخرافات.

إذن فمسألة الصدق مسألة جوهرية يجب أن نضعها بمكانة خطيرة جداً لأن فيها مصيرنا في الدنيا والآخرة، تخيل - أخي المسلم - لو أن قرآناً طُبع وبه بعض الأكاذيب، أو به كذبة واحدة أو آية واحدة ليست من القرآن وكان ذلك خطأ فماذا كان سيحدث لو طبعنا من هذا القرآن ملايين النسخ؟

بالطبع سيدب الرعب حيال هذا الخطأ وسيطالب جميع المسلمين

(١) أميمة: هي أم أبو هريرة، والمقصود بها شتمه.

(٢) الطبقات، القسم الثاني، في ترجمة أبي هريرة، ج ٤، ص ٩٠.

بإتلاف كل هذه النسخ حتى إذا بلغت الملايين، وتجاوزت المليارات وذلك خوفاً من دخول كذبة واحدة أو آية خطأ في القرآن الكريم، وهنا أسأل!!

ماذا لو طُبع تفسير لهذا القرآن والتفسير مليء بالأخطاء والأكاذيب وأخذنا هذه الأكاذيب من التفسير على أنها مسلمات وصحيحة، ألا نكون قد وقعنا في محذور يشبه تحريف القرآن؟
فلو جاء مناقضاً تماماً لما أراده القرآن ألا يكون الأخذ بهذا التفسير حرباً على القرآن وحرباً على الله ورسوله.

فمثلاً يقول الله العظيم في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فطاعة أولي الأمر من المسلمين حماية لهم من الوقوع في طاعة الفاسقين والظالمين والذين تسلطوا على رقاب المسلمين بالباطل كما فعل بنو أمية وبنو العباس وغيرهم ليستأثروا بالسلطة لديناهم وكأن دماء النبي وأهل بيته وأصحابه هدرت كي ينعموا بالملك هم وأبنائهم.

فبينما تجد هذه الآية كانت حماية للمؤمنين من الوقوع في طاعة الظالمين تجد الكثير يفسر هذه الآية على أنها طاعة أي حاكم يحكم وإن كان ظالماً فاسقاً سارقاً، فنكون بذلك ليس فقط لم ندرك الحق وإنما أعنا الباطل ضد الحق.

فعلينا أن نبحث عن الصدق في الحديث والصدق في تفسير القرآن وإلا سرنا عكس السير الذي أراده الله لنا تماماً فيكون القرآن حرباً على الله ورسوله، والحديث عوناً للباطل وأهله، فمثلاً قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر في حديث متواتر لا ينكره أحد: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»^(١). حيث أراد رسول الله ﷺ بذلك أن يبين لكثير من الضالين المغفلين في زمن الحرب بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية أن الحق مع الإمام علي عليه السلام، رغم ما بينه رسول الله ﷺ في مواطن كثير من أن الحق مع علي وعلي مع الحق. ولكن تبقى فئة تحتاج على طول الطريق إلى من يرشدها فعندما استشهد عمار على يد جيش معاوية اتضح للكثير أن الفئة الباغية هي جيش معاوية، وبذلك زال اللبس عن كثير ممن كان مع معاوية وهذا بالنسبة لهم نجاة لكن معاوية وعمرو بن العاص قالا لهم: إن هذا الحديث صحيح لكن الذي أخرج عمار للقتال هو علي بن أبي طالب وبذلك يكون هو وجيشه هم الفئة الباغية!!

وهناك الكثير الكثير من هذه الأمثلة التي توضع للتلاعب بالتفسير والمعاني وهي تشكل بذلك الفتنة التي يجب أن يكون المسلم حذراً منها

(١) جاء في كشف اليقين، ص ٢٣٤، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي ﷺ

يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية ... الخ. وأخرجه مسلم في الصحيح عن أبي جروة المازني قال: سمعت علياً يقول للزبير: نشدتك بالله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم، قال: بلى، ولكنني نسيت قوله ﷺ لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

والسبيل الوحيد للنجاة هو كلام الله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

علينا أن نبحث في الصدق والصادقين، ونجد هنا كلمة يشير بها الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بعبارة (ألسنة الصدق) التي جاءت في نهج البلاغة ج ١، ص ١٥٥.

يقول الإمام علي عليه السلام: «فأين تذهبون، وأنى تؤفكون؟ والإعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين ﷺ أنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون»^(٢).

المشكلة التي لدى البعض أنه يجادل في كل شيء ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٣) ويتكلم فيما لا يعرف ﴿هَاتِئَمْ هَوْلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤) ويصدق ما

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٢٠.

(٣) سورة الكهف: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ٦٦.

يحلوه له ويمضي ليجنب نفسه عناء البحث وعناء مواجهة المشكلات المترتبة على البحث وعلى النتائج، عجباً لبني آدم تجده يقطع البلاد ويهجر الأهل والعيال ويتحمل السفر والغربة من تعب يصيبه ومشكلات لا حصر لها تصيب الأولاد من أجل لقمة العيش، ولربما اللقمة موجودة في موطنه وإنما ليحسن تلك اللقمة وليحشوها بما لذ، فليكن ولكن ما بال الأهم؟

ألا يتحمل في سبيل غذائه الروحي ومصيره الأبدي عُشر معشار هذا

العناء؟!

وقد جاء الحديث أو بما معناه: (أسأل في دينك حتى يتهمك الناس

بالجنون) أو عن دينك.

كلكم راع

الكثير من الناس بعيدون عن العلم الحقيقي وليس بمقدورهم الخوض فيه وقد يتعللون بأن هذه مسؤولية العلماء ولا يقع عليهم اللوم وإنما يحمل وزرهم العلماء وهذا القول ليس صحيحاً تماماً.

بـ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وعلى الإنسان غير المتخصص وغير المتبحر في العلوم الدينية عدة أمور إذا أراد أن يصل إلى الحقيقة:

(١) عليه أن يتبع المتواتر من الأحاديث والروايات والتي أجمع عليها كل المسلمين والتي لا يمكن إنكارها والتي هي من البديهيات ولا يجادل فيها - هروباً من الحق - أحد، والأمثلة كثيرة في ذلك، وسوف تأتي أمثلة كثيرة منها في الفصول القادمة.

(٢) عليه أن يقبل الحق مهما كان غريباً فالإنسان يعتبر أن ما اعتاد عليه هو الحق وغير ذلك باطل ومضحك ومثير للهزل، فمثلاً: قد يجد غير المسلم ضرب جمرة الشيطان في الحج بالحجارة أمراً سخيلاً مضحكاً بينما عند المسلم أمرٌ مقدس.

وأذكر هنا بالمناسبة مثلاً يوضح هذا المعنى، قال لي أحد المعارف ممن أعرفهم أن حاجاً مسلماً من بلد إسلامي كان يعيش في بلاد الغرب طول حياته وجاء للحج وكان ضمن حملة هذا الشخص المتكلم، ولكن بعد أيام من بدء مراسم الحج بدأ يتذمر ولم تعجبه هذه المناسك وقال أنا تارك تجارتي وعملي من أجل أن أضرب حجارة، وترك الحج ولم يكمل وسافر المسكين - عديم التوفيق - راجعاً إلى بلده بينما على المسلم إذا صدق بنبوته النبي محمد ﷺ فعليه أن يصدق كل ما جاء به حتى وإن رآه للوهلة الأولى أنه ليس صحيحاً فذلك لجهله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣).

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) إخلاص النية والتوجه بإيمانه لله عز وجل بأن يريه الحق حقاً فيتبعه ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه مهما كانت النتائج وكن صادقاً مع نفسك، أختل بالله وتحدث معه وناجه وتوسل إليه والحق عليه في طلبك.

(٤) الجدل في البحث عن الحقيقة بتجرد دون الكشف عن ما في النفس لأحد دون الله، جاهد في البحث عن الحقيقة والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١) وستجد النور من حلقة الظلام لأن النور من طبيعته أن يكون مضيئاً ويدرك بسهولة لكل من طلبه، وقد جاء الحق بين، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢) ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣).

(٥) إذا وجدت النور وأردت الاستنارة فقد تتعب، وهنا تحمل ما يجري لك كما تحمل أبو ذر، وكما تحمل عمار، ولكن أنظر إلى العاقبة وقيم بنفسك ووازن فهل يستحق الأمر أم لا. وأعلم أن الأمر ليس سهلاً فهو جهاد للنفس، ولوم اللائمين عنيف وشديد إلا على الفئة المؤمنة التي نور الله قلوبهم بالإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٤)، ولولا

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٤) سورة المائدة: ٥٤.

شدة الألم النفسي الذي يسببه اللوم وفتنة تأثيره لما ذكره الله في هذه الآية وخص ومدح به المؤمنون الذين لا يخشونه، فإذا خشيته فأعلم أنك لا زلت محتاجاً إلى الإيمان أكثر ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

هذه بعض الخطوات لمن أراد أن يبحث عن الحقيقة الصادقة التي أراد الله أن تصل إلينا، وقد يتخبط الإنسان في خضم التناقضات الموجودة في الساحة العلمية الإسلامية إذا صح التعبير، لكن لا بد للإنسان من البحث عن النجاة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «الناس ثلاث، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع يتبعون كل ناعق ويميلون مع كل ريح». فأختر أيهما تريد أن تكون، فإذا لم تكن من الصف الأول فلا تكن من الأخير.

البحث عن الحق واستشراف الحقيقة

في رواية معروفة لدى جميع طوائف المسلمين تقول: «تنقسم أمتي إلى ٧٣ فرقة، كلهم في النار إلا واحدة»^(٢).

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، والباقيون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعلمون برأيهم فأولئك ما عليهم من سبيل». وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٥٠.

وهذا الحديث يحتاج إلى الكثير من التأمل والتفكير ليتسنى لنا الاستفادة.

أولاً: غريب هذا الحديث، وغريب لغرابة الإنسان الذي يرى الحق ثم يذهب هنا وهناك حتى يصير إلى ٧٣ فرقة كلها تركت جادة الحق وتريد الباطل إلا فرقة واحدة، لماذا؟

ألهذه الدرجة الحق مبهم، لهذه الدرجة هذا الدين وهذا النبي ﷺ وهذا الإله جل وعلا يتركون الناس يذهبون إلى الجحيم والعياذ بالله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).

ألهذه الدرجة الدين غامض، لا، لا أبداً فالله يقول: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢).

إذا لماذا ٧٣ فرقة تؤمن بالله وتصلي وتحج وتقوم هباءً منثوراً، ٧٢ فرقة درسوا واجتهدوا بالله وجاهدوا وعملوا هذا وجوباً، وتركوا هذا حراماً وتحملوا في ذلك الجهود والحرَج، وبعد ذلك إلى النار!!

إذن لابد أن نعرف أن المقصر هو الإنسان ولكن كيف؟
الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) ولنعرف أن الله يريد من الإنسان الطاعة.

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة النحل: ١١٨.

وهذا إبليس عَبْدَ الله آلاف السنين وصار نتيجة جهده إلى النار أراد أن تكون عبادته كما يريد هو عندما اعترض على الله بعدم سجوده لآدم ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾^(١). وليس من حق المخلوق الاعتراض على الله ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾^(٢) وقال له الله ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

وكذلك المسلم لا يحق له أن يعترض على الله ورسوله ولا بمقدار ذرة، فالإسلام هو التسليم الكامل، ولكن كيف والمسلمون على هذا الكم من الاختلاف، لو فرضت أنني أسلمت، وأرى هذا الحديث فإن أول سؤال سأسأله نفسي بعد أن أسلم بالله ورسوله هو من أي المسلمين سأكون وأي فرقة أختار؟

فيجب الحذر وإلا لا فائدة من إسلامي، وسأكلف نفسي، ومصيري بعد ذلك إلى النار وأذكر هنا قصة سمعتها من السابقين: أن شخصاً دخل ضيفاً على شخصية مهمة في شهر رمضان فرآه على سفرة الطعام في غير مرض أو عذر فتعجب فسأله عن السبب فأجاب الفاطر بأنه لا فائدة من صيامي وأنا أعرف أنني في النار لأن نهجي غير صحيح، وأنا أعرف ذلك

(١) سورة الإسراء: ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٨.

فلماذا عناء الصوم!!

والسبب لأنه لا يريد أن يتبع الحق لأن الحق يُكلفه بتكاليف باهضة
قد تكون في حياته أو جاهه أو سعادته الدنيوية.

نعم، اتباع الحق ليس سهلاً دائماً فقد يكلفه كما كلف عمار بن ياسر
أباه ياسر وأمه سمية، وقد يكلف كما كلف مصعب بن عمير ذلك الابن
المدلل الثري الذي خرج من عزه الظاهري إلى حياة أفقر الفقراء، وقد
يكلف كما كلف الكثيرين ممن فقدوا حياتهم وأسرهم وعيالهم، وذاقوا
أصناف وفنون التعذيب الجسدي والنفسي على أيدي الظلمة على مر
العصور.

إذاً لابد من التجرد من كل شيء عند اختيار الطريق الصحيح، التجرد
من المصالح المادية والاجتماعية والعائلية ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(١) والتجرد من خوف ملامة المحيط
الاجتماعي والأصدقاء والمعارف ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٢) والنظر فقط
وفقط إلى ما يرضي الله وليكلف بعد ذلك ما يكلف وليتوجه الله بهذه الحال
وكأنه يقول:

فيا ليت بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
وكأنه يقول:

(١) سورة الزخرف: ٢٣.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

تركت الخلق طراً في هواك وأيتمت العيال لكى أراك
فلو قطعني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سواك
نعم الناجي فقط فرقة واحدة، لماذا؟

لأن طريق الله واحد وصراطه المستقيم واحد، ولنعرف من خلال هذا الحديث الكم الهائل من الفرق التي يتلي بها المسلمون والتي تتجه بهم شرقاً وغرباً وكل يصيح أنا صاحب الحق وتقوم المدارس لكل فرقة وتصرف الجهود والأموال والأعمار ويتبحر كل واحد منهم علم القرآن والحديث والتفسير.

وتقوم الحروب والنزاعات عصوراً ودهوراً وكل ذلك هباءً منثوراً!!
لماذا هذه الخسائر؟

أين رحمة الله؟! ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).
ألم يقل الله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢).
يقرؤون هذه الآية، وكل يقول لست أنا المقصود والمعني بهذه الآية، بل الآخرين الله سبحانه رحيم، ومن رحمته أنك تجد الإرشاد والتوجيه في كل زاوية من زوايا القرآن، وعلى لسان رسول الله من أول حياته حتى آخر لحظة! ولكن لو أراد الإنسان أن يهتدي ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ *

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.

وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ^(١) تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى تَنْجُو ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^(٢).

كن صادقاً مع نفسك وأبحث عن الحق تجده بعون الله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣)، واستعن بالله وعباد الله الصادقين؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤) وأبحث الحق عند من يفكر بالله ولا شيء سوى وجه الله بحيث لو تركته لا يكثر سوى لمصلحتك الأخروية فقط وفقط، لا مصالح ولا أرقام ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٥).

أطلب الله بقلب صادق يهديك الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦) وسنمر إنشاء الله على هذه المعاني في فصول متقدمة أخرى لنعرف من هم الصادقون.

ومن هم الذين يريدون وجه الله؟

(١) سورة القيامة: ١٤ - ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

(٥) سورة الكهف: ٢٨.

(٦) سورة الفاتحة: ٦.

ومن الذين جاهدوا في الله؟

وما هي العروة الوثقى؟

وما هو الصراط المستقيم؟

لابد لنا من التفكير بامعان والتدبر ملياً لأن وجودنا في هذه الحياة
وفوق هذه البسيطة نعمة عظيمة، إذ نملك حرية الاختيار وغداً عما قريب
وقد لا يظهر علينا الغد لنكون في باطنها وليس هناك إلا الحساب والعقاب،
إنه المصير المحتوم ويستحق منا التفكير، حتى لا نكون من الأخسرين
أعمالاً وكنا طوال حياتنا نحسب أننا كنا نحسن صنعاً.

جواهرالموضوع

قبس من أبو طالب وعبد المطلب

ما سلف من هذه الصفحات كان مقدمة لموضوع في غاية الأهمية وغاية في الخطورة والجدية، الموضوع يتصل بالخالق العظيم من خلال نبيه ﷺ وكل ما يتصل بالنبي العظيم فهو أمر عظيم وعظمته في النهاية هي من عظمة الله وعظم شأنه جل وعلا.

نريد أن ندرس أحد أعمام النبي ﷺ وهو العم الذي كان له تأثير على حياة النبي ودعوته ودينه وتبليغه رسالته، عم كان رسول الله ﷺ يستند إليه فكان الدرع الواقي له من أخطار قريش عليه وعلى دعوته. وسوف نسلط الضوء في البداية على أصله وحياته بما احتوته من حقائق وأحداث ثم نتطرق إلى ما قيل عنه؟ ولماذا؟ مع تقييم لهذه الأسباب. وما هو موقفنا تجاه هذه الحالة والأسس التي تعتمد عليها في الدراسة والتقييم والمسؤولية.

وعم النبي هذا هو أبو طالب ابن عبد المطلب، ويكفي إلى هنا لأنه بعد ذلك سيكون النسب هو نسب النبي ﷺ فعبد المطلب هو جد النبي ووالد أبي طالب، وأبو طالب هو ذاك الابن الذي ترعرع في ظل أبيه عبد المطلب سليل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

وعماد الأسرة الهاشمية العظيمة والذي حافظ على سلامة عقيدته (الحنيفية البيضاء) التي جاءتهم من ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام القائمة على التوحيد والبعيدة عن ظلمة الشرك التي كانت تكتنف قريشاً آنذاك؛ لذا نرى عبد المطلب يقوم في حياته على تعاليم جده الخليل فيحرم الخمر ويحرم نكاح المحارم ويحرم الزنا وينهى عن الطواف عراة ويحدد الطواف بالبيت بسبع مرات بعد أن كان غير محدد، ويقطع يد السارق وينهى عن الوأد والاستقسام بالأزلام وأكل ما ذبح على النصب، والوفاء بالنذر^(١).

ويأتي الإسلام فيقر كل هذه السنن التي أقرها عبد المطلب وأبو طالب ذو العقل السديد والرشد في سلوكه وتصرفاته والمعروف بحكمته يرى ويشاهد كل هذه الأمور، ويشاهد ابرهة الحبشي يأتي بجيش جرار ليهدم الكعبة ويسمع كلمات أبيه المؤمن يقول بكل ثقة أن (للبيت رب يحميه) لم يلجأ إلى هبل وأقرانه كما تفعل قريش، بل يسمعه يناجي ربه وقد أخذ بحلقة باب الكعبة مناجاة الموحّد الواثق، يا رب لا أرجو سواك، يا رب فأمنع منهم حماك، أن عدو البيت من عاداك، أمنعهم أن يخبوا قراكا^(٢)، ومرة أخرى يسمعه يقول:

لا يغلبن صليهم	ومحالهم عدواً محالك
ولئن فعلت فأنه	أمر تتم به فعالك

(١) ينابيع المودة ٩٠/٢، السيرة الحلبية ٥/١، السيرة النبوية ٢١/١.

(٢) الكامل، ابن الأثير ٢٦١/١، مروج الذهب ١٢٨/٢.

أنت الذي أن جاء
ولوا لم يحوا سوى
لم استمع يوماً بأرجس
جروا جموع بلادهم
عمدوا حماك بكيدهم
بأغ نرتجيك له فذلك
خزي وتهلكهم هنالك
منهم يبغوا قتالك
والفيل كي يسبوا عيالك
جهلاً وما رقبوا جلالك

ثم عقب بقوله:

(يا معشر قريش لا يصل إلى هدم هذا البيت، فإن له رباً يحميه
ويحفظه) ثم يستجاب الدعاء وتأتي طيور الأبايل في قصة يرويها القرآن
الكريم في سورة خاصة ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ *
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١).

ويرعى أبو طالب أباه هذا الطاهر ذا السمعة الناصعة البياض حتى كان
يسمى ويدعى بـ (شيبة الحمد).

وكان فكره فكر الأنبياء في العقيدة وفي التعامل والتعايش مع
الناس فكان يقول: (لن يخرج من الدنيا ظلوم، حتى ينتقم منه، وتصيبه
عقوبة).

وما أن هلك رجل ظلوم - من أهل الشام - دون أن يمسه في هذه
الدار أي سوء حتى جاءه من يتحداه فإذا به يجيب (والله أن وراء هذه الدار

(١) سورة الفيل: ١ - ٥.

داراً، يجزي فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته^(١).

تلمس أخي القارئ نور المبادئ السماوية في هذا الفكر الذي يستحيل أن يكون نتائج فكر شخصي في وسط ظلمة الجزيرة العربية والتي يمتّ وجهها صوب أوثانها فكانت مكة تحوي أكثر من ٣٦٠ صنماً رئيساً عدا الأصنام الموجودة في كل بيت.

بينما لا نجد عبد المطلب أو أبا طالب يعرفون واحداً منها لا من قريب ولا من بعيد وفي وسط هذا النهج الإبراهيمي الحنيف ووسط هذه الشجرة الهاشمية الناصعة نشاهد غصناً أسوداً كالحاً وهو أبا لهب لذا فكفره وشركه يعتبر أمراً غريباً في بني هاشم، وكان السبب الرئيس لكفره هو مصالحه المادية وليس لقناعته في الفكر الوثني، فقد خاف أن تتأثر تجارته أن آمن بهذا الدين الجديد، لأن المستهلك لبضاعته كان المجتمع الوثني آنذاك وذلك سوف يفرض عليه قيوداً وضوابطاً لا تروق له.

وباستثناء أبي لهب يحفظ لنا التاريخ صفح ناصعة البياض لبني هاشم في نهجهم وفكرهم التي نهلت من الحنيفة البيضاء فأخبار النبي الموعود وعلاماته والأدلة عليه تكاد تكون من المسلمات الواضحة عندهم، وذلك من خلال ما تناقله الحكماء ما جاءهم عن رسل الله السابقين ويقول أحدهم مرة لعبد المطلب: (إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة).

ويكمل لعبد المطلب: (اسمه أحمد، يموت أبوه وأمه، يكفله جده وعمه). ويخر عبد المطلب ساجداً لله شكراً. ثم يرفع رأساً فرحاً مبتهجاً ويقول: (مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه)^(١).

لذا تجد عبد المطلب يولي جل عنايته ورعايته وحبه لهذا الحفيد العظيم محمد ﷺ فمنذ ولد ﷺ نجده يحمله ويسرع به إلى الكعبة ليدعوا الله ويشكره على هذا الفضل العظيم ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان اعنيده بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ النيان أعنيده من شر ذي شأن
من حاسد مضطرب العنان^(٢)

ويكبر هذا الطفل العظيم ﷺ بين مقلتي عبد المطلب وود وعطف ورعاية عمه أبي طالب الذي أوصاه به أبوه، إذ يقول له مرة: (يا أبا طالب أن لهذا الغلام شأنًا عظيماً! فأحفظه واستمسك به، فإنه فرد وحيد، وكن له كالأم، لا يصل إليه شيء يكرهه)^(٣).

وعبد المطلب ليس شخصاً عادياً فهو العارف العالم المهيب في قومه مطاع الأمر مستجاب الدعوة ذو شفاعاة عند الله عز وجل فهو من جهة جد

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٥، السيرة النبوية ١/٦٦-٦٨ و٧٩.

(٢) مروج الذهب ٢/٢٨١.

(٣) المجالس السنية.

رسول الله قد حمل بين ثناياه نور النبوة ومن جهة أخرى قد حفظ التعاليم السماوية من الحنيفة البيضاء، ورع، حكيم، عفيف، مؤمن، في زمن الجهل والكفر والظلم والظلمة.

لذا فلا غرابة عندما يهرع له العرب في وقت القحط والجفاف ليستقي لهم فهو الوجه عند الله، ويرفع يديه الكريمتين متوجهاً لخالقه: (اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك، وإماؤك وبنو إمائك وقد نزل بنا ما ترى، وتتابع علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر، فأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجذب، واثننا بالحياة^(١) والخصب^(٢)).

ولا يكاد يدع الجبل إلا وتسيل أودية بعد أن انهمرت السماء بالكرم الجزيل من لدن كريم رحيم، كرامة لشيبة الحمد جد رسول الله ﷺ. ويسيل مع الخير شعراً عذباً جادت به قريحة (رقية بنت أبي صفى بن هاشم):

وقد عدنا الحياة وأجلوذاً المطر	بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا
جار فعاشت به الأنعام والشجر	فجاد بالماء جوني له سبل
وخير من بشرت يوماً به مضر	متاً من الله بالميمون طائره
ما في الأنام له عدل ولا خطر ^(٣)	مبارك الاسم يستسقي الغمام به

(١) الحياة، بمعنى المطر وتأتي بمعنى النبات.

(٢) السيرة الحلبية ١٣١/١.

(٣) السيرة الحلبية ١٢٢/١، السيرة النبوية ٦٤/١.

وسمعت قيس ومضر ولم يكن لأرضهم من ذاك الخير الذي أصاب مكة نصيب، فعزم عظمائهم أن يفزعوا لعبد المطلب ذلك الشيخ المقدس فقصدوا وشكوه الحال: (قد أصابنا سنون مجذبات وقد بان لنا أثرك، وصح عندنا خبرك، فاشفع لنا عند من شفّعك، وأجرى الغمام لك).

وفي اليوم التالي كان عبد المطلب شية الحمد في جمع من أبنائه وبينهم حفيده الحبيب المصطفى ﷺ أرواح العالمين له الفداء، يعلو حجر جده تجلله حالة النور الإلهي والناس من حولهم ويرفع عبد المطلب يديه الطاهرتين نحو السماء، ويقلب مفعم بالإيمان وبلسان صادق: (اللهم رب البرق الخاطف، والرعد القاصف، رب الأبواب وملين الصعاب، هذه قيس ومضر، من خير البشر، قد شعّث رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو إليك شدة الهذال وذهاب النفوس والأموال! اللهم فأتح لهم سحاباً خواره، وسماءً خراة، لتضحك أرضهم، ويزول ضرهم).

وتستجيب السماء لأمر ربها وتعتقد الغيوم ويصرفهم عبد المطلب: (يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم).

ويجود وينشد ابنه أبو طالب فرحاً بهذه الأبيات:

أبونا شفيع الناس حين سقوا به	من الغيث جاس العشير بكور
ونحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكة يدعو والمياه تغور
فلم يبرح الأقدام حتى رأو بها	سحابات مزّن صوبهن تدور
وقيس أتنا بعد أزم وشدة	وقد عضها دهر أكب عثور
فما برحوا حتى سقى الله أرضهم	بشية غيثاً فالثبات تضرير

وهكذا يعيش هذا اليتيم العظيم ﷺ بين هذه العائلة الهاشمية
المستتيرة في كنف جده الذي كان يحيطه بكامل العناية والرعاية حتى أنه
شغل تفكيره فيمن يرعاه بعد وفاته فاختر له من أبنائه أفضلهم خوفاً وحيطه
عليه ومعرفة به فيقول لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحدٍ بعد أبيه فرد
وفي قول آخر:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
بابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آئب

ويتحمل أبو طالب هذه الوصية وهو فرح بها، إذ يقول:

لا توصني بلازم وواجب أني سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب بان بحمد الله قول راهب

ثم يقول له شية الحمد عبد المطلب: (انظر يا أبا طالب، أن تكون
حافظاً لهذا الوحيد، الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، أنظر أنه
يكون من جسدك، بمنزلة كبذك، فإنني قد تركت بني كلهم، وخصصتك به
لأنك من أم أبيه، وأعلم: فإن استطعت أن تتبعه فأفعل، وأنصره بلسانك،
ويدك، ومالك فإنه والله سيسودك ويملك ما لا يملك أحد من آبائي، هل
قبلت؟).

فأجابه أبو طالب: (قد قبلت والله على ذلك شاهد).

ومد يده إليه فضرب بها على يد أبي طالب، وقال مطمئناً: (الآن
خفف على الموت).

ثم قبل ابنه بحنانه وقال له: (أشهد أنني لم أرَ أحداً من ولدي أطيّب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً).

بهذه الأصول الكريمة، وبهذه الأسس النيرة، والقواعد الراسخة في الإيمان أخذت تتحدد ملامح شخصية أبي طالب الإيمانية وترك بصماته الواضحة المرئية والمحسوسة على إيمانه وعقيدته بالله وبالرسول القادم. نعم، فقد أنعم الله جل وعلا على أي شخص إذا بين له آياته ومعجزاته وأبو طالب وإن كان لا يحتاج إلى أي من هذه المعجزات لتعميق إيمانه بالله فهو المؤمن الذي ورث الإيمان من آبائه إسماعيل وإبراهيم فالإيمان يحيط به من كل أطرافه وجوانحه يعيشه وينعم به^(١) - من الناحية المعنوية - التي عاشها أبو طالب، إذ يسمع الأخبار الواردة عن أبيه وعن العلماء والحكماء ويشاهد المعاجز الإلهية التي تحيط أباه وابن أخيه محمداً منذ طفولته الكريمة.

(١) ومن ذا الذي لا يُفعم قلبه بالإيمان لو عاش الحياة الكريمة.

احتضانه للنبي ﷺ وعظم المسؤولية

بعد أن مضى عبد المطلب إلى جوار ربه آلت زعامة بني هاشم بشكل طبيعي إلى خير أبنائه وأجلهم، وهو أبو طالب ورغم أنه كان قليل ذات اليد إلا أن ذلك لم يطفى من نوره شيئاً بل كان دليلاً على علو قدره، إذ حاز على سمو شخصيته ومكانته الاجتماعية العالية بدون المال فهو الرجل المهيّب المطاع الذي يشار إليه بالبنان.

وأنه لم يكن ليكثر المال كغيره، بل كان ينفقه، وقد قام بسقاية الحاج بعد أبيه رغم قلة ما عنده من حطام الدنيا حتى أنه كان يقترض المبالغ الضخمة لسقاية بيت الله، ففي أحد الأعوام أقترض من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى موسم آخر، وجاء عام آخر ولم يستطع أن يدفع فيه لأخيه دينه، بل وطلب منه هذا العام قرضاً آخر أربعة عشر ألف درهم، كي لا يدع سقاية حجاج بيت الله ضيوف الرحمة، ولكن العباس لم يقرضه هذه المرة إلا بشرط وهو أنه إذا عجز أبو طالب عن سد دينه في عامه المقبل، فعليه أن يترك السقاية إليه فكان ذلك^(١)، ومن ملامح نفسه الزكية أنه كان يرمي

(١) شرح النهج الحديدي ٤٦١/٣، السيرة الحلبية ١٧/١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير

بالتمر والزبيب في ماء زمزم ليعذب ويحلوا ماؤها، كرمًا وسموًا في نفسه العالية.

هذا هو مربى النبي بعد أبيه عبد المطلب فلا عجب أن يختار الله لنبيه مربياً كأبي طالب فهو بجدارة فخر قريش (تبعه الخير، والكهف الحصين الذي تقيه من الحوادث والطوارئ، فالله يلجأ للضعيف المضام، ومن كفة الندية ينتهل المعتمد فتعود له الحياة المخضرة، وبه يتوسلون حينما ينقطع من السماء قطرها المدرار، وهو: الوصول للرحم، الكشاف للكروب، البر الرحيم، الجواد بما يملك من غير منة، والسماح بما يستطيع، بلا طلب، قوى الإرادة منطيق فصيح، يتدفق بلاغة، حديدي القلب، ثبت الجنان، جميل الطلعة، مهوب الجانب، موفور الاحترام والتعظيم)^(١).

(وإن له في التشريع لدراية، فهو ذو معرفة شاملة، وعلم عميق، فيحرم على نفسه شرب الخمر، ومقارفة الموبقات، وكل ما حوله من الجاهلية، وأرجاس الشرك، وآثام الوسط المنحط ويرتفع بروحيته إلى أفق واسع، رفيع المستوى، مديد الرقعة، نقي الجواء، على صفاء وطهارة)^(٢).

ولقد كان أبو طالب بحق ولياً من أولياء الله الصالحين، وها هو يرفع يديه إلى السماء فلا ترد أبداً.

(أخرج ابن عساكر عن جلهمة قال: قدمت مكة وهم في قحط وشدة،

(١) إثبات الوصية ١٠٧.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش للخزيري ص ١١٨.

من احتباس المطر عنهم، فقائل يقول: اعتمدوا اللآت والعزى، وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال شيخ وسيم، حسن الوجه، جيد الرأي، أنى تؤفكون، وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل! - ولم يغب عنهم ما يعنيه هذا الشيخ الوسيم، والمجود الرأي، والحسن الوجه، وما كان هذا العلم بالجديد عليهم، وهم منه على عمق معرفة، وشمول رواية -.

قالوا: كأنك عنيت أبا طالب.

فقال: أيها ...!

فقاموا بأجمعهم، وقمت معهم، فدققنا الباب عليه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه أزار قد أتشح به فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجذب العيال فهل فاستسق لنا.

فخرج أبو طالب ومعه غلام - وهو النبي ﷺ - كأنه شمس دجنة تجلت عليه سحابة قتماء، وحوله اغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة، ولاذ الغلام - أي أشار بأصبعه إلى السماء كالمتضرع الملتجئ، وما في السماء قرعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدودق الوادي وكثر قطره وأخصب النادي^(١).

أن من الظلم لأبي طالب أنه تمدحه أقلامنا القصيرة، الضعيفة الهزيلة فما عساها أن تكتب وهاهو جبار السماء خالق الكون يكشف عن جوهر هذا الإنسان، إذ تسرع استجابة دعائه فتقول لنا أنه عبد من عبادنا الاتقياء وله

(١) ابن عساكر، والسيرة النبوية ج ١، ٨٠

مكانة ورفعة وعظمة بطاعته لله فهو ولي مؤمن يحبه الله.
وهذا ما نفهمه من الشفيح فهو أسمى من الآخرين عالي القدر عند خالقه.

هذا هو أبو طالب ومثله يستحق أن يكشف الله عن معدنه وهويته للناس فيعرفونه أكثر وتلجم أفواه حاسديه وتخرس ويسطع كنهه على مشارف التاريخ، ويلطم الله بها وجوه الكذابين الذين يريدونها عوجاً ويريدها الله صراطاً مستقيماً وتغلب إرادة الله دوماً وأبداً لأنه وعد بتمام نوره أبداً سرمداً ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وإلا كيف تصل إلينا هذه الحقائق رغم وجود الذين أرادوا إخفائها، نعم أرادوا إخفائها بالسيف والقلم والكذب، وبكل وسائل أهل الباطل، ما ادخروا وسيلة إلا جندوها لحرب الحق من جهلهم وغبائهم، ولكن من (صارع الحق صرعه) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن الحق قوي بقوة الله عز وجل والعبرة بالنهاية، إذ إن الزمن لم ولن يتوقف ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

أبو طالب أيها العظيم الشأن كم لك من معروف في رقاب المسلمين جميعاً تدين به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ألم تكن حصناً للرسالة المحمدية؟ ألم تكن كهفاً منيعاً لنبي الأمة؟ ألم تفني حياتك وأنت ترعاها وتصونها وتتقي بنفسك وبروحك سهام أعدائها وكنت تضع كبذك في

مرمى رماحها؟

ألم تضع ابنك وهم فلذات كبذك الشريف وقاء لرسول الله؟
أنت عظيم وعظمتك من عظمة خالقك، واستميتك العذر في أن
أقحم نفسي الصغيرة فيمن يكتبون عن العظماء فيها نحن نصلي ونسلم على
محمد وآله نبتغي بذلك رفعة لنا عند الله.
فسلام الله عليك يا حصن رسول الله، يا درع رسول الله، يا حامي
رسول الله، سلام الله عليك سلام محب، مكبر لقدرك، معترف بفضلك
ونورك رغم ظلمة الجاحدين.

أبو طالب وإشارات قبل الدعوة

ويكبر النبي محمد ﷺ في ظل عمه أبي طالب وتنتشر علامات نبوته في أفاق الجزيرة العربية وتبدأ إرهاصات النبوة تدلّل عليها الكتب السماوية ورجال الدين الذين لهم معرفة بعلائم النبوة وعلامات أخرى كانت تصاحبه في حياته منذ صغره وحتى يكبر، وكل ذلك تمهيداً سماوياً لبزوغ دعوته الميمونة، وكل ذلك كان تحت نظر عمه المؤمن العظيم أبي طالب فكان يذكرها ذكر العارف المنتظر للحدث العظيم فقد جاء في السيرة النبوية ج ١، ص ٨٩، والحلبية ج ١، ص ١٣٩ أنه ﷺ كان مع عمه أبي طالب بذئ المجاز إذ عطش أبو طالب وليس ثمة ماء، فذكر لأبن أخيه ما ألم به من عطش، فما كان من رسول الله إلا أن ضرب صخرة برجله المباركة فإذا بالماء يتدفق أمام عيني عمه أبي طالب فشرب حتى أطفأ لهبة الظمأ.

ومرة يشاهده كاهن مع أبي طالب، كما جاء في السيرة الهاشمية ج ١، ص ١٩٠، والحلبية ج ١، ص ١٣٩، فقال الكاهن متعجباً الغلام! علي به!

وما أن سمع أبو طالب هذا الاهتمام والتركيز حتى عمد إلى تغييب الغلام (محمد ﷺ) وذلك بعد أن صاح الكاهن ويلكم!! أوردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكون له شأن.

إنك المبارك

أنها الكلمة التي كان يقولها المبارك أبو طالب للمبارك ابن أخيه محمد ﷺ وذلك عندما كان صبيّاً يتربى في بيته المبارك مع أبنائه وكان الطعام الذي يعدونه في بيت أبي طالب لا يكفي لسبب الفقر؛ لذلك كان أبو طالب يدعو ابن أخيه إلى المائدة فإذا حضر النبي ﷺ طرَح الله البركة في ذلك الطعام فلا يقومون منه إلا وهم شبعى، هذا فضلاً عما يزيد من تلك المائدة، فكان يقول له عمه أنك المبارك، ويا لهذا البيت المبارك الذي يضم أبا طالب وأبنائه وابن أخيه المصطفى.

وعندما يضطر شيخ البطحاء إلى السفر إلى الشام وترك اليتيم محمد يصل إلى مسامعه الشريفة صوت المصطفى وهو يقول: يا عم إلى من تكلني؟ لا أب لي ولا أم؟ وتسيل دموع أبي طالب على وجنتيه الكريمتين مع دموع المصطفى ﷺ فلا يملك شيخ البطحاء إلا أن يقول: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.

ويسعد العم برفقة ابن أخيه على راحلة واحدة، وفي الطريق يمرون على راهب عالم بعلوم النصرانية في صومعته يقال له (بحيرا) كما جاء في السيرة الحلبية والنبوية والكمال لابن الأثير والطبري.

ويسأل هذا الراهب عمه أبا طالب بشق، ما هذا الغلام منك؟

ابني.

فيجيب الراهب: ما هو ابنك، أو ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه

حي؟

فإنه ابن أخي.

فما فعل أبوه؟

مات وأمه حبلى به.

صدقت!! فأرجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه اليهود! فوالله لأن رأوه وعرفوا ما عرفت ليغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.

وتتراكم هذه المعلومات في ذاكرة شيخ البطحاء لتتشر لنا مخيلته الشريفة يوماً درأ من الشعر تطرز بها جبين التاريخ البشري له حيث قال شيخ البطحاء معرفة وعلمياً وفضلاً ونوراً يخترق التاريخ فيضيء أيامه حتى يومنا هذا وإلى الأبد بهذه الآيات الرائعة:

أن ابن أمنة النبي محمداً	عندي يفوق منازل الأولاد
راعت فيه قاربة موصولة	وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومه	بيض الوجه مصالت انجاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا	لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه ورد معاشر الحساد
قوم يهود قد رأوا ما قد رأى	ظل الغمامة وثاغري الأكباد
ثاروا لقتل محمد فنهاهم	عنه وجاهد أحسن التجهاد
فتى زيراً من بحيرا فأنثنى	في القوم بعد تجادل وبعاد
ونهى دريساً فأنتهى عن قوله	حبر يوافق أمره برشاد
وقال أيضاً:	

ألم ترني بعد هم همته	بفرقة حر الوالدين حرام
بأصمد لما أن شددت مطيتي	برحلي وقد ودعته بسلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا	وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة	تجود من العينين ذات سجام
فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمد	فردهم عنه بحسن خصام
بتأويله التوراة حتى تيقنوا	وقال لهم رمتم أشد مرام
أتبغون قتلاً للنبي محمد	خصصتم على شؤون بطول أاثام
وأن الذي نختاره منه مانع	سيكفيه منكم كيد كل طغام
فذلك من اعلامه وبيانه	وليس نهار واضح كظلام

وهكذا يدرك أبو طالب نور النبوة في مهدها، ويرتشف فيضها
الوضاء، فهو الذي ما برح ملاصقاً لها يحيطها برعايته الكريمة ما أمكنه إلى
ذلك سيلاً.

ويكبر النبي ﷺ ويرى أن يجد للنبي عملاً كريماً فيرى له أن يخرج
بتجارة لأحد الأثرياء، وتسمع خديجة بالخبر فترسل إليه أن يخرج بتجارته
وهي الموفورة الحظ، إذ سبقت غيرها بهذا المكسب العظيم، ويذهب النبي
محمد ﷺ ويعود بالريح الوافر، وتسمع خديجة من (ميسرة) عامل خديجة
ما أبهره من سمو النبي الأكرم ونبل طباعه وعظيم سجاياءه، مما أثار اهتمام
السيدة الكريمة خديجة في أن لا يكون أحد دون غيره زوجاً لها.

وأرسلت من يوصل هذه الفكرة إلى رسول الله ﷺ وتصل الرسالة
الكريمة فيتقدم أبو طالب سيد قريش خاطباً ويقول: (الحمد لله الذي جعلنا

من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئى^(١) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً، ونبلاً، وفضلاً، وعقلاً، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها ما آجله وعاجله - كذا - وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم^(٢).

وهنا لابد لنا من وقفة ولو قصيرة مقتضبة لنشير إلى بعض ما ورد في هذه الخطبة على لسان أبي طالب وبما يشير إلى مكنون معتقد هذا السيد الجليل:

١- إشارات بعظمة النبي الكريم فهو ذو المكانة العالية الذي لا يقاس به أحد.

٢- لقد أقسم أبو طالب بأن لمحمد ابن أخيه شأن عظيم وخطر جليل جسيم، وهذا يدل على علم أبي طالب ومعرفته بالنبوة القادمة لابن أخيه واعترافه بمكانة هذا الأمر في نفسه وإلا لما ذكره بهذه الطريقة وفاخر به أمام الحفل.

ويتم الله تعالى هذا الزواج الميمون لسيد الخلق أجمعين ويكون

(١) ضأضأ، الضئى والضئى: الأصل والمعدن. لسان العرب، ج ١، ص ١١٠.

(٢) السيرة النبوية، ص ١٠٦، الحلية، ص ١٦٥.

سيد البطحاء قد أنهى بذلك مرحلة في رعاية النبي ﷺ بعد أن تولى تربيته ورعايته صغيراً ثم علمه التجارة والسفر وتولى أمر الخطبة له وتزويجه من خديجة الكبرى.

فهنيئاً لك هذا الفضل العظيم يا سيد البطحاء، يا سيدي ومولاي يا أبا طالب من يدانيك بالفضل يا كافل سيد المرسلين ورفعك الله في أعلى درجات الصالحين بما رعت وحميت نبيه وحبيه المصطفى ﷺ فجزاك الله أوفر الجزاء.

مرحلة الدعوة

ويدخل أبو طالب - هذا البطل الذي اختاره الله حامياً لنبیه - مرحلة جديدة في كفالة ابن أخیه، هذه المرحلة ليست كسابقتها فقد كانت على قدر من العناء ولكن دون الحرب ومخاطرها، فهذه المرحلة هي قمة ما لاقاه أبو طالب من تحديات تمثلت في صلف قريش وجبروتها وقسوتها ولؤمها في تحدي الرسالة وصاحبها، ومن يقف معها، ولكن لابد لأبي طالب أن يقوم بالدور المنوط به والذي قدره الله له جل شأنه وهو الكفء لهذا الدور، فقد بذل كل ما يستطيع في حماية الدعوة وصاحبها بذل جاهه وماله ونفسه وعياله حتى لاقى ربه.

ولنواكب أبا طالب في هذه الحقبة وهو يسير مع النبوة جنباً إلى جنب ونلقي ونسلط الضوء عليه بكل دقة لنرى أدق التفاصيل على مواقفه من النبي ورسالته ولیتسنى للقارئ معرفة ذلك الرجل العظيم! هذه الفترة هي فترة الدخول إلى معترك الصراع مع القوى الموجودة في السلطة آنذاك والتي تمثل السلطة السياسية الحاكمة بمصطلح اليوم، وبكل ركائزها من الاستخبارات والجيش والشرطة وأحلاف سياسية واقتصادية، وما إلى ذلك من قوى تقف بصلاية أمام كل من يقترب أو يمس السلطة، وهنا ينكشف معدن المؤيد والمناصر من الخاذل والمحاید والمحارب؟!...

ويبلغ الله جل وعلا نبيه المصطفى ﷺ بالتكليف الإلهي العظيم
ويأمره بإظهار أمره، اليوم الذي طالما انتظر أبو طالب بزوغ فجره.

ولا تكاد أذني أبو طالب تسمع ببشائر الدعوة المحمدية ونور الإسلام
قد بزغ إلا وتشرح أساريره ويشرق وجهه ويخفق قلبه ويبين سنا نور وجهه
الوضاء فيهدر بهذه الكلمات النورية باتجاه ابن أخيه وحبيه وحبيب رب
السموات رسول هذه الأمة محمد ﷺ، إذ قال له: (أخرج ابن أبي، فإنك
الرفيع كعباً، والمنيع حزناً، والأعلى أبا ... والله لا يسلكك لسان إلا سلقته
السن حداد، وأجذبته سيوف حداد ... والله لتذلن له العرب، ذل البهم لحاظنها،
ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ... ولقد قال إن من صليبي لنبياً لوددت أني
أدركت ذلك الزمان فأمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به)^(١).

وأن اللبيب يدرك جلياً هنا أن أبا طالب لم يؤمن هنا في هذه اللحظة،
بل أنه كان مؤمناً سلفاً بالنبي وبخالقه وبالرسالة وكان ينتظر التبليغ بلهفة
المؤمن الموقن، هاهو يتكلم عن شيء فوق الإيمان بالرسالة بما جاء به
النبي ﷺ وهو الذب والدفاع عن تلك الرسالة في أعلى مستوياته وهو
الدفاع بالسيف ولا أعتقد أن أحداً يدافع بالسيف ويعرض نفسه للخطر في
شيء هو لا يعتقد به.

ومثله في ذلك كمثّل شخص يبحث عن أبيه المفقود أربعين سنة،

(١) فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي الدنيوري في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤال في

وقضى هذه الفترة وهو لا يدخر جهداً في هذه الغاية، يبحث ويترقب ويتحسس وينتظر انتظار يعقوب ليوسف عليه السلام.

وعندما يجد والده عياناً أمامه فلا يحتاج أن يقول له أني أقبلك أباً، بل أنه سيلقي نفسه بين ذراعيه ويقع على قدميه يقبلهما فرحاً بالعثور عليه ويروي نفسه وروحه منه بهجة وسروراً، كما انتشت روح يعقوب عليه السلام بيوسف عليه السلام عندما شم قميصه.

هكذا تلقى أبو طالب خبر الدعوة من ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا يؤيد الله نبيه بهذا الكهف المنيع لينطلق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته من أرضية صلبة تثبت قدميه في خطواته المباركة وهو مطمئن كل الاطمئنان بأن الله حاميه بعمه القوي (والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد) (واجتذبتة سيوف حداد) فيمضي صلى الله عليه وسلم على بركة الله في دعوته وهامو يحضر صلى الله عليه وسلم أول محفل يدعو إلى الله قومه فيه، حين نزلت آية الأندار وأنذر عشيرتك الأقربين فيأمر ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يدعو العشيرة ويلقي عليهم الدعوة إلى دين الله فيبادر زياد عمه أبي طالب بالجواب وكأنه يكمل كلام رسول الله فيقول: (ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فأمضي لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك)^(١).

(١) الكامل لأبن الأثير، ج ٢، ص ٤١.

وهنا لابد أن يتبادر سؤال مهم، وهو (ألم يكن دور أبي طالب هو نصرة الرسول ونصرة دعوته ولابد أن يكتفوا إيمانه عن قريش كي يستطيع أن يكون حامياً أمام بطش قريش فيكفوا أيديهم عنه اعتباراً لمكانة أبي طالب وقريش كقبوم صالح، إذ قالوا له ولولا رهطك لرجمناك وكذلك قريش تركت قتل النبي خوفاً من أبي طالب ومكانته ومن أن تخسره، ولكن أبو طالب لم يكن يظهر كامل الإسلام، ولم يكن يظهر الكفر، بل كان من الذكاء والفتنة التي اشتهر بهما وهو الشاعر والحكيم والمتكلم، فلم يدخر مناسبة إلا ومجد فيها النبي ودينه ورفع من شأنه، فتقوى بذلك ركائز الدعوة والرسالة وثبتت القناعات للعامة في صدق هذه الدعوة الإلهية ومن جانب آخر لم يكن يقول بصراحة أنا مسلم وفي نفس الوقت لم يكن يمدح أو يرفع من جبهة الشرك والكفر ولم يذكرهم بخير ولا مرة واحدة ليرفع من شأنهم ويقوي شوكتهم وإذا اضطر لذلك فلا بد من حيلة وخدعة لا يعدم إيجادها وهو الفطن اللبيب فكان يقول أنه على دين آباءه أو دين عبد المطلب، وهو يقصد الدين الحق الذي وصلهم من الأنبياء وهو ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفة البيضاء كما هو معروف ولذلك يخبره أبو طالب عندما أجاب دعوة النبي بالإنذار قال كما مر سابقاً.

(ما أحب إلينا معاونتك ... النخ، حتى فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك) ولكنه عندما رأى عيونا في وجوه عابسة لا يروق لها هذا الكلام ترمقه بحقد أسود ... بادر أبو طالب وقال: (غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب).

وهكذا يكون إيمانه راسخاً في القلب واضحاً للعيان ودون أن يصرح به صراحة أبو ذر الغفاري ولم يذكر آلهم بخير كعمار بن ياسر. ومثله في القرآن كمؤمن آل فرعون وسيأتي شرح ذلك تفصيلاً في فصل متقدم في هذا الكتاب إنشاء الله.

ورغم ما أشار أبو طالب عليه السلام من أنه على ملة عبد المطلب إلا أن أبا لهب لا يروق له هذا الكلام من أخيه أبي طالب ويخشى أن يبعث كلامه في الحاضرين، القبول لدعوة النبي ﷺ فيبادر: هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فيرده أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا^(١).

يا للمجاهد أبي طالب بدأ جهاده ضد ابن أبيه منذ البدايات الأولى، فهذا هو يثور في وجه أخيه وأمام الجميع في حديث اضطر أبو طالب أن يحجم هذا الكافر أبا لهب ويسفهه دفاعاً عن النبي ﷺ فيقول له: أسكت يا أعور!! ما أنت وهذا.

بينما نجده يخفض جناح الذل من الرحمة لابن أخيه ويقول له بكل إذعان ورضوخ المؤمن المسلم، إذ يقول للنبي: (قم يا سيدي وتكلم بما تحب، وبلغ الرسالة، فإنك الصادق المصدق).

بالروعة أبي طالب، إذ يخاطب ابن أخيه الذي رباه يتيماً وكفله حتى بلغ أشده وهو أي أبو طالب الذي يكبره في السن وفي المكانة الاجتماعية

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٤١، والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٢١.

في قومه ظاهراً ويناديه يا سيدي!! إنه الإذعان الكامل للرسالة والعبودية
الكاملة لله عز وجل فهذا مقام النبوة الذي يفوق كل مقام ومكانة وهذا أبو
طالب، ذاك العبد الصالح الذي يدرك ويعرف هذه المعاني السامية.

موقفه من أبنائه علي وعقيل وجعفر

ويتجلى نور أبي طالب وتتجلى عظمته في صور شتى في التاريخ، الواحدة تلو الأخرى، وكل منها أنصع من أخرياتها بياضاً ونظارة، فها هو يلقي بأبنائه في وجوه العتاة من قريش دفاعاً عن النبي ﷺ والدعوة لم يخضر عودها بعد، فالمخاطر الدنيوية في مواجهة بطش الظالمين هي نجاة في نظر المؤمن أبي طالب فها هو يخاطب علياً عليه السلام كما يروي علي عليه السلام، إذ يقال له: قال لي أبي: يا بني! ألزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس آجل وعاجل ثم قال لي: أن الوثيق في لزوم محمد فأشدد بصحبته - علي - يديكا.

ومرة يرى النبي ﷺ وهو يصلي وعلي عن يمينه، فتمتلئ روحه نشوة وسرواً فيهتف بابنه الثاني جعفر الطيار (صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره)^(١). ولتغمر روحه نشوة وسعادة إذ يرى أبنائه ركائز في دين الله فأحدهم عن يمين النبي وآخر عن يساره عندها يسيل من نبع قريحته الشعرية عذب من الكلام رويًا، إذ يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي عند ملء الزمان والسنوب

(١) شرح ابن أبي الحديد، نهج البلاغة ج ٣، ص ٣١٤.

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب^(١)
ويتوجه كذلك لأخيه سيد الشهداء حمزة (أبي يعلي) يحثه على نصره
النبي ﷺ ودين الله ولنستمع لما يقوله له في نصره النبي ودينه شعراً سائغاً
إذ يقول:

فصبراً أبا يعلي على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحطّ من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لا تكن حمزة كافراً
فقد سرنى، إذ قلت أنك مؤمن فكن لرسول الله، في الله ناصراً
وناد قريش بالذي قد أتيت جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً^(٢)

وهنا لا يرى المستمع لهذه الأخبار إلا عظمة الله وكيف أنه نصر
نبيه ﷺ بهذه الأنوار الهاشمية تحوطه كما تحوط الهالة الكوكب الزاهر
فأبو طالب سند وكهف وأبنائه علي وجعفر وعمه حمزة أبطال قد قرت بهم
عين النبي يحوطونه كالأسود المنيفة فسلام الله عليهم أجمعين.

وكان هذا الأساس الذي سوف يكون قاعدة لانطلاق النبي وقريباً
تظهر عواصف البطش من عتاة قريش عندما تستشعر الخطر على مصالحها،
من هذا النور الوضاء الذي بدأ يمزق حلقة ظلامهم الدامس وبدت تخاف
على أصنامهم وبدت تخاف على أصنامها البالية التي طالما درت عليهم

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ج ٣، ص ٢٧٢، رسائل الجاحظ ص ٤٩.

(٢) أسنى المطالب، ج ١٠، ص ٦.

الدراهم والدنانير والمناصب الجائرة والسلطة الظالمة وبغير وجه حق وبمراسم ما أنزل بها من سلطان.

وتنشط دعوة النبي ﷺ وينتشر نورها انتشار نور الشمس عندما تطلع على الليل البهيم، وترتجف قريش ولا تملك بعد فشل كل أساليبها في صد النور الوهاج بأكفهم التافهة الضئيلة إلا أن تذهب في محاولة إلى أبي طالب كي يشفع لهم عند ابن أخيه فيذهب نفر منهم إلى أبي طالب (يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آبائنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه، من خلاف، فنكفيكه).

ويمارس أبو طالب هنا دوره بكل ذكاء وهكذا يحاول أن يمتص الصدمة فلا تصل إلى الرسول ﷺ بدبلوماسية فائقة - بتعبير اليوم - فينصرفوا دون أي أثر لهم على الرسول ﷺ ودون أن يثير غضبهم عليه وكأنه يعطيهم مخدراً إلى أطول فترة ممكنة، وبالفعل يمضوا إلى حالهم لفترة، يكون رسول الله قطع فيها شوطاً في الدعوة ما أمكنه، ويعودوا مرة أخرى:

(يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً - فينا - وإن قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا! وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين)^(١).

وهنا بانت نبرة الحرب والمواجهة المسلحة في لكنة عتاة قريش فهل الوقت يسمح بالتزال والمواجهة وهل هي في مصلحة الدعوة الفتية؟ والجواب واضح، إن الوقت والزمان ليسا في صالح النبي ﷺ ودعوته إذن فلا بد لأبي طالب أن يبدي موقفاً يهدأ من فورة قريش ودون أي تنازل عملي من جانب جبهة الحق فلا بد لأبي طالب أن يوصل الرسالة للنبي حتى ترضى قريش، ولا بد أن ترى قريش أن أبا طالب متعاون معها وأنه يبذل قصارى جهده معها فيبقى بعد ذلك محتفظاً بمكانته عندهم قوياً مرهوب الجانب تُخشى سطوته وهو مع ذلك إلى جانب قريش وتخشى قريش من تحوله ضدها فتبقى سيوفهم بعيدة عن الحراك، وهو المطلوب عند أبي طالب.

لذا نجد أبا طالب يبلغ الرسالة إلى النبي ويبدي تعاوناً مع قريش وهو يعرف الجواب مسبقاً من ابن أخيه النبي ﷺ يعرف جواباً مرتبطاً بالسماء بعيداً عن الأهواء فبلغ النبي ﷺ حديث وفد قريش كما قالوا: (يا أبا طالب أن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا! وإنا والله لا نصير على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين)^(١). وهنا يقول: للعلة التي ذكرناها آنفاً (فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق).

(١) البداية والنهاية، ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧.

ويفرح أبو طالب ويبتهج ويكبر جواب ابن أخيه النبي المصطفى وهو ينقله لقريش، إذ قال المصطفى ﷺ: «يا عماء! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته»^(١).

ويتضح من هذا الموقف أمران:

الأول: أن قريش سوف تصعد من مواجهتها للنبي ولأبي طالب ولن تدخر جهداً في تصعيد المواجهة.

ثانياً: إن أبا طالب سوف ينتقل إلى مرحلة جهادية أصعب، ولا بد له من الاستعداد لمواجهة أكبر دعماً للنبي ﷺ من ناحية أخرى، لذا نجد شيخ البطحاء أبا طالب العظيم لا يترث في بلورة هذا الموقف الجديد الداعم للنبي ﷺ في تصريح جديد للملأ، وللعالم والتاريخ، إذ قال لابن أخيه المصطفى ﷺ صاغها من نور ونار، نور لرسول الله ونار على قريش: (اذهب يا ابن أخي قل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً)^(٢).

ثم هدر شعراً هو نور وإيمان:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أميناً

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٢٦.

(٢) الطبري ج ٢ ٦٤-٦٧، السيرة النبوية ج ١ ص ١٩٦، والحلية والهاشمية.

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً^(١) وتترى مواقف هذا الجبل الأشم العملاق أبي طالب شيخ البطحاء، التي تكشف عن مكنونه، وهي ليس إلا قليلاً من كثير وصلنا سناه رغم ما يعتري الأجواء من ظلمة العداء والبغضاء لآل النبي ﷺ وسوف نستعرض بعضاً من مواقفه الكريمة مع رسول الله ﷺ وجبهة الحق.

بنس الصفقة ونعم الموالي

وكما يشير الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما قال: الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى جاءت قريش من فرط حيرتها في قوة دعوة النبي ﷺ تعرض على أبي طالب هذا العرض السخيف إذ جاءوه وقالوا له: (يا أبا طالب هذا عمارة ابن الوليد فخذ، فلك عقله ونصرته، وأتخذه ولداً، فهو لك، وأسلم لنا ابن أخيك، هذا الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل). فيجيبهم أبو طالب: (والله: لبئس ما تسومونني، أتعطونني أبنكم أغدوه لكم وأعطيكُم ابني تقتلونه! هذا والله لا يكون أبداً)^(٢).

ثورة أبي طالب عندما افتقد النبي

الموقف الذي يكشف عن ماهية أبي طالب لو أصيب النبي بأذى

(١) السيرة النبوية ص ٨٥ وص ١٩٧، هشام دامية ص ١٦٧، الكشف ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٤٨.

موقف كشف ما لرسول الله ﷺ من مكانة في وجدان أبي طالب وموقف كشف ما يكون أبو طالب وما يستطيع أن يفعل في قريش لو تعدت على النبي ﷺ، فقد افتقد أبو طالب مرة رسول الله وفي فترة كانت قريش تهدد وتتوعد باغتياله فبحث عنه فلم يجده، فهجم الحزن في قلبه ودب الخوف على حياة النبي في جوانبه فثارت ثائرتة فأرسل إلى فتیان بني هاشم عشيرة المصطفى ﷺ، وأمر كلاً منهم أن يخبئ تحت ثيابه سلاحاً حاد الشفرة وأمرهم أن يقف كل واحد منهم عند زعيم من رجال قريش، والغاية واضحة فهم في انتظار إشارة من أبي طالب فإن رأى ما يسوئه في النبي فإن رؤوس هؤلاء الكفرة لن تكون إلا بجانبهم في لحظة واحدة، هذا هو أبو طالب حصن النبي المنيع الذي نصر الله به نبيه وهو الشوكة التي أقذت عيون مشركي قريش وعاتتهم فكان لهم رمحاً مسلطاً في صدورهم لا يستطيعون فيه حراكاً باتجاه الدين قيد أنملة.

ويستهج وجه أبي طالب ويشرق نوراً عندما يجد ابن أخيه سالماً من أي أذى وتهداً روعته ولكنه لا يفوت هذه الفرصة ويستغلها ليبين لقريش حقيقة قوة النبي ﷺ، فأخذ بيد النبي ﷺ وصاح: (يا معشر قريش: هل تدرون ما هممت به؟ وأمر فتياه أن يكشفوا عن أسلحتهم ففعلوا، فبان الانكسار في وجوههم الكالحة وكان أشده وضوحاً على وجه أبي جهل، وقال لهم: (والله لو قتلتموه ما أبقيت لكم أحداً، حتى نتفاني نحن وأنتم)^(١).

ويدون أبو طالب هذه الحادثة شعراً كعادته إذ يكشف به مكنون حبه وولائه وعاطفته تجاه النبي الأكرم ﷺ:

وكل سرائر منها غرور	إلا أبلغ قريشاً حيث حلت
وما تتلوا السنافرة الشهور	فإنني والضوابع عاديات
وود الصدر مني والضمير	لآل محمد راع حفيظ
ولو جرت مظالمها الجزور	فلست بقاطع رحمي وولدي
بقتل محمد ... والأمر زور	أيأمر جمعهم أبناء فهر
ولا أمت رشاداً إذ تشير	فلا وأبيك لا ظفرت قريش
وأبيض ماءه غدق كثير	بني أخي ونوط القلب مني
وأحمد قد تضمنه القبور	وبشرب بعده الولدان رياً
كأن جبينك القمر المنير	أيا ابن الأنف أنف بني قصي

موقف أبي طالب عندما يتعرض النبي ﷺ للأذى والإهانة

عندما تخشى قريش أن تقترب من رسول الله باعتداء دموي وقد علمت أن ذلك خطأ أحمر لا يمكن الاقتراب منه مع وجود أبي طالب، فقد لجأت إلى أسلوب الإهانة لتحطم بذلك شخصية النبي فتثنيه عن أداء دعوته بهذه الطريقة، فكانوا يدعونه بالساحر تارة والمجنون تارة أخرى، وهكذا حتى وصلت القضية إلى نقطة أبلغ وتعدت اللسان، ومرة وقد كان رسول الله ﷺ غائباً في ملكوت الله وهو يناجي الله أثناء صلاته وإذا بعبد الله بن الزبيري يتقدم آثماً ويلقي بدم وفرث جزور ويلقيه على رسول الله وهو ساجد.

والله يعلم كم من الألم والأسى أصاب قلب الحبيب المصطفى فهو الأعز على وجه الكون بعد الله وتوجيه هذه الإهانة له لها أبلغ الأذى في نفس رسول الله ﷺ وليس للنبي ﷺ غير عمه أبي طالب يلجأ إليه فيخبره بهذا المصاب الجلل، وقال النبي لعمه اتسبني من أنا؟

وما إن سمع أبو طالب بهذه النائبة حتى طاش غضبه لله ورسوله وأخذ ابن أخيه وذهب إلى جمعهم وسيفه على عاتقه وما أن أحسوا بقدمه حتى أرادوا الهروب فصاح بهم: (والله لئن قام رجل جللته بسيفي).

فلصقوا بالأرض ... وهم يعرفون من هو أبو طالب إذا غضب لرسول الله ويعرفونه فكأنه منهم وألقت لابن أخيه:

يا بني من الفاعل بك هذا ...؟

فدله الرسول على ابن الزبيري ... وأدناه إليه فوجأ أنفه، ثم مر بالدم والفرث على القوم ولطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأغلظ لهم القول وكال لهم الإهانة وعاد لأبن أخيه، يقول له بلهجة المنتصر والمتقم: (يا ابن أخي: أرضيت؟ سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله - وسرد النسب الشريف، أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً ...

يا معشر قريش، من شاء منك أن يتحرك، فليفعل ...؟ أنا الذي تعرفوني. واردف قائلاً:

أنت النبي محمد	قـرم أغـر، مـسـوّد
لمسـوّدين أكـرام	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها	عمرو الحطيم الأوحـد

هشم الربيكة في الفجان	وعيش مكة أنكد
فجرت ذلك سنة	فيها الخيضة تشرد
ولنا السقاية للحجيج	بها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت	عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت	وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى	فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم	أسد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً	من القول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب	وأنت طفل أمرد ^(١)

(١) شرح الحديدي ج ٣، ص ٣١٥، هاشم: ص ١٧٣.

موقفه وأصحاب النبي ﷺ

ونرى كيف ثأر للصحابي الجليل القدر عثمان بن مضعون والذي كان أول من دفن في البقيع، الذي عذبه قريش لإيمانه وإسلامه ثم صاغ هذه التحفة الشعرية:

أصبح مكتئباً تبكي كمحزون	أمن تذكر دهر غير مأمون
يفشون بالظلم من يدعو إلى الدين	أم من تذكر أقوام ذوي سفه
أنا غضبنا لعثمان بن مضعون	إلا ترون أذل الله جمعكم
بكل مطرود في الكف مسنون	وتمنع الضيم من يبغي مضيمتنا
يشفي بها الداء من هام المجانين	ومرهفات، كأن الملح خالطها
بعد الصعوبة بالاسماح واللين	حتى تقر رجال لا حلوم لها
على نبي كموسى أو كذي النون ^(١)	أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب

وعندما تعذب قريش أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لإسلامه لم يجد من يفزع إليه سوى الركن الحصين للمسلمين أبي طالب، فاستجار به ليمنعه من جابرة قريش وقد فعل، وخلصه من بطشهم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٣، ص ٣١٢، هاشم: ص ١٦٤.

موقفه مع ملك الحبشة

ويمتد دعمه للمسلمين إلى خارج مكة وخارج الجزيرة فعندما هاجر ابنه ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب مع مجموعة من المسلمين الذين فروا من بطش قريش أرسلت قريش في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليحوكوا ضدهم موقفاً معادياً من ملك الحبشة، لكن جعفر بن أبي طالب بفطنته ونور إيمانه تصدى لمكر قريش ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) ومن خارج الحبشة يرسل أبو طالب إمداداً معنوياً لجبهة المؤمنين ودعماً إعلامياً يسند ويقوي موقفهم وجبهتهم وحيث أن أبا طالب يملك شعراً عذباً كماء الغدير وله نور يمشي به إلى القلوب النيرة وبه جمر مستعر لأعداء الحق فيكون شعره جيشاً وعتاداً ومالاً في نصرة الحق فيرسل إلى ملك الحبشة هذه الآيات:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر	وعمرو وأعداء النبي الأقارب؟
وهل نال إحسان النجاشي جعفرأ	وأصحابه أم غاله عن ذاك شاغب؟
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد	كريم فلا يشقى إليك، المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة	وأسباب خير كلها بك لازب

ورغم أن النجاشي رجل كريم إلا أن مدح أبي طالب له كان بمثابة الشكر الذي زاد على أثره النجاشي في إكرام جعفر والمسلمين الذين معه.

ويبلغ ذلك أبا طالب فيقوم بدوره فهو لا يكاد أن يجد فرصة يدعوا

فيها للإسلام إلا ويؤديه على أكمل وأعلى وأتم وجه فهو وولده جعفر وعلي هم الدعاة المخلصون لدين الرسول العظيم، فيخاطب ملك الحبشة داعياً له للدين قائلاً:

ليعلم خيار الناس أن محمداً	نبي كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به	فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وأنكم تتلون في كتابكم	بصدق حديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا الله نداً وأسلموا	فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما تأتيك من عصابة	لقصدك إلا أرجعوا بالتكرم ^(١)

ألا يعني هذا الشعر هذه العبارات التالية: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

(١) العباس ص ٢٢، مجمع البيان ج ٧، ص ٣٧.

أبو طالب يتجلى في محنة شعب أبي طالب

تعلو الدعوة فيزداد حنق قريش وبطشهم ضد المسلمين، فتنقل
المواجهة إلى مستوى أعلى بين جبهة الحق وشرذمة الباطل من أذنان
قريش.

وطبعاً المواجهة هنا بين معتدين شرسين هم عتاة قريش والمعتدى
عليهم هم جبهة الحق جبهة النبي وأتباعه وعلى رأسهم أبو طالب فهو الذي
سيتلقى الضربات وعليه أن يصمد ويصبر ويتجلد ويعاني أشد المعاناة.
وهنا المحك الذي يكشف الذهب من غيره من المعادن الزهيدة
[وأبو طالب لا يحتاج لإثبات معدنه عند العارفين به ولكن عند من جهله
ستتوضح أكثر ماهية معدن هذا العملاق العظيم].

لقد قررت قريش أن تقاطع كل الهاشميين وبني عبد المطلب مقاطعة
اقتصادية واجتماعية فلا يتبايعون معهم ولا يتزاجون وأن يكونوا يداً
واحدة ضدهم وحرماً عليهم ولن يتراجعوا عن هذه القرارات التي علقت
بالكعبة كوثيقة إلا أن يسلموهم النبي ويتخلون عنه.

إن أبا طالب ليعلم إن هذا الحصار والحرب الاقتصادية سوف تسقط
الكبير قبل الصغير من الجوع والمرض والأسى، وظنت قريش بأنها سوف

تحط من عزيمة أبي طالب ولن يصمد أمام هذا الأعصار وسوف تهوى إرادته ويتهشم أمام ضربة قريش المجتمعة الشديدة وما يكاد يسمع أبو طالب بهذه المكيدة اللعينة والتي ستطال الطفل قبل الشاب والهرم الضعيف قبل القوي حتى بدأ بالاستعداد للمواجهة مباشرة دون أدنى ضعف أو تردد فكان شعره بمثابة البيان الأول في الرد على قريش، إذ قال:

يرجؤون منا خطة دون نيلها	ضراب وطعن بالوشيح المقوم
كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا	جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة	حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم	وغشيانكم من أمركم كل مآثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى	وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله	إذا كان في قوم فليس بمسلم ^(١)

كان هذا جزءاً مما قاله أبو طالب في استعراض لقوة موقف وعزيمة وعقيدة راسخة لم تعرفها قريش من قبل، وفي خطوة ثانية اجتمع شيخ بني هاشم بعشيرته وأجمعوا أن يأووا إلى الشعب وفيهم نور الله في أرضه رسول الله ﷺ ليكونوا في مأمن من غدر قريش وهناك كان التحدي في نصرة الرسول المصطفى وكان مثله للتفاني في حماية النبي من قبل أبي طالب، تفان لم يعرف التاريخ من قبل فكان إذا جن الليل وآوى النبي ﷺ إلى فراشه وكذلك الإمام علي عليه السلام عمد أبو طالب إلى تبديل مكان النبي بمكان

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ج ٣، ص ٣١٢.

الإمام علي عليه السلام وينام علي عليه السلام مكان النبي ويكرر هذا العمل مراراً حتى إذا كان هناك غدر في اغتيال النبي يكون الإمام علي عليه السلام من يتلقى الضربة وينجو رسول الله ﷺ فكم هي مواقفكم مزهرة يا أبا طالب بعضها أجمل من بعض.

فعندما أخذ أبو طالب بيد الإمام علي عليه السلام لينام مكان ابن عمه رسول الله ﷺ قال الإمام علي: (يا أبت أني مقتول).

فيجيبه أباه بهذه الأبيات والتي يزين بها جبين التاريخ:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى	كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثاقب	البيع والكريم والنجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى	فمصيب منها وغير مصيب

ويجيبه الإمام علي عليه السلام وهو الذي لا حد لإيمانه وفدائه للنبي الكريم ﷺ، إذ يقول:

أأمرني بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحبت أن تر نصرتي	وتعلم أني لم أزل لك طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد	نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً ^(١)

وتمضى الأيام على أبي طالب في الشعب قاسية مؤلمة وهو يشاهد الجوع والألم والمرض والأسى يدب في أفراد وأطفال ونساء بني هاشم

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣، ص ٣١٠.

وهو لا يستطيع أن يقدم لهم ما يسد حاجتهم أو يخفف آلامهم.
 من جانب يرى نفسه مسؤولاً عن بني قومه وعشيرته ويعلم أن قريشاً
 تريد أن تضغط عليه ليسلمهم النبي فانتهاه معاناة شعبه بأن يسلمهم
 النبي ﷺ وهذا هو المستحيل فهو حامي الرسالة وحامي صاحبها حتى
 الممات، وعندما نريد أن نقرب من نفسه العظيمة وما يختلج فيها نصفي
 إلى ما يقول من شعر وهو الذي لديه ديوان في أكثر من ٣٠٠٠ بيت كلها
 حكمة وفداء لله ورسوله، وفيما يقال في هذه المحنة في الشعب:

ألم تعلموا أن القطيعة مآثم	وأمر بلاء قاتم غير حازم
وان سبيل الرشد يعلم في غد	وان نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم من محمد	ولا تتبعوا أمر الغواة الاشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنما	أمانيكم هذي كأحلام نائم
وأنكم والله لا تقتلون	ولما تروا قطب اللحى والغلاصم
زعمتم بأننا مسلمون محمداً	ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القول مفضل أبي العدى	تمكن من الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم	بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة	وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه	ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وهو هنا يواجههم اعلامياً يبين لهم سوء عملهم وانه لا طائلة منه ولن
 يصلوا إلى مآربهم ولن يوقفوا هذا المد السماوي والنتيجة ستكون عليهم
 فما فائدة هذا العمل الظالم وهو بذلك يحاول أن يوضح لهم الحقائق عسى

أن يفيقوا لرشدكم ويلقي بذلك عليهم الحجة ومن جانب آخر يدعم موقف النبي وأتباعه ولنا عودة في فصول أخرى إنشاء الله إلى ما تحويه هذه الآيات إن أمكن.

وتمر الأيام والشهور سوداء ثقيلة أليلة حزينة ويكمل النبي وعشيرته في هذا الحرمان عامهم الثالث، وفي يوم يخبر النبي الأكرم عمه نبأ سار لقد أخبره النبي بأن الله قد سلط الأرضة على صحيفة المقاطعة المعلقة في الكعبة فأكلتها إلا كلمة واحدة وهي اسم الله، وهكذا قد أخذ أبو طالب في يده ذخيرة يواجه بها كيد قريش ويفحمهم، فذهب في كوكبة تلفه من بني هاشم إلى المسجد الحرام.

ولما رأتهم قريش سرهم إذ ظنوا أنهم جاءوا يسلمونهم النبي ﷺ فبادرهم أبو طالب وهو الذي يعرف كيف يدير الحوار بفطنة وذكاء ويخرج بتتيعة تصدع أركان باطلهم: (يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور، لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها، لعله يكون بيننا وبينكم صلح).

وعندما رأى الصحيفة في أيديهم قال: (أتيتكم في أمر، هو نصف بيننا وبينكم ... إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط، إن الله قد بعث على صحيفتكم دابة، فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول، فأفيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً، دفعناه إليكم، فقتلتم أو استحييتم...).

فتحوا الصحيفة فبهتوا ... لكنهم أصروا على عنادهم وقالوا: (هذا سحر ابن أخيك).

فنادى فيهم أبو طالب: (علام نُحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة).

ثم تمسك ومن معه باستار الكعبة مبتهلين إلى الله (اللهم أنصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا).

وهكذا قد صدع أبو طالب جمع قريش وزرع بينهم الاختلاف بحكمته وحجته فأنشق من قريش فئة سعت إلى نقض هذه الصحيفة ورفضها فإنهار الحصار ورفع الله عن نبيه وبني هاشم هذه المحنة وخرجوا منها منتصرين ثابتين في هذا الامتحان الإلهي الذي زادهم إيماناً وصلابة وقوة في إبلاغ الدعوة ونشرها، ويصدر أبو طالب بيانه الشعري، إذ يقول:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة	متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم	وما نعموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً	ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب ^(١)
وقال في أبيات أخرى:	

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا	على نأبهم والله بالناس أروء
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت	وإن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها أفك وسحر مجمع	ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطائرها في رأسها يتردد

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٢، ص ٦١-٦٢.

فمن ينشَ من حصار مكة عزه	فعزتنا في بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قلائل	فلم ننفك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المغيضين ترعد
ألا إنه خير الناس نفساً ووالداً	إذا عُدت سادات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله	وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جرئ على حلِّي الخطوب كأنه	شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لوي بن غالب	إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه	يحضُّ على مقرى الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً	إذا نحن طقنا في البلاد ويمهد

ونترك لك أخي القارئ الكريم التأمل في هذه الأبيات، وقل أليس
حرياً أن نحفظ هذه الأبيات وأن نحفظها أبنائنا في المدارس.

الخطب الجليل في الرحيل

ووصيته الأخيرة

وتمضي سني حامي النبي المليئة بالجهاد والنضال في كشف الكرب عن وجه النبي الأكرم ﷺ، دفاعاً عن الدين والعقيدة وقد آن له أن يلاقي ربه فائراً، رابحة تجارته مع الله، ولكن هذا البطل شأنه شأن كل حكيم عالي الشأن لا ينسى رسالته حتى في ساعات الاحتضار بل على العكس فإنه يركز في ساعاته الأخيرة أشد تركيز على أهدافه لأنه ماضٍ عنها، وهكذا يكشف الإنسان عن جوهره بما يبوح به وهو يودع هذه الدنيا، إذ إن الإنسان في هذه اللحظات عادة ما يكون مشغولاً بنفسه متحسراً على ما سيترك من أحبه وأعزه، فلنلقي نظرة على جوهر هذا الرجل من خلال الإطلاع على ما سيوصي به عند الاحتضار.

بصوت ملؤه الهيبة والوقار يوصي أبو طالب في جمع من وجهاء قريش وصاياه الأخيرة: «يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب وفيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، وأعلموا:

١- أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً، إلا أحرزتموه ولا

شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب، وأنني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يقصد الكعبة) فإن فيها مرضاة الرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم، ولا تقاطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد.

واتركوا البغي والعقوق ... فيها هلكت القرون قبلكم، أجيئوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيها محبة الخاص ومكرمة في العام.

وأنني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ... وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره ... فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها اذناً، ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحضاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها، وأعطته قيادها.

دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاية ولحزبه حماة.
والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا

ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز
ولدافعت عنه الدواهي»^(١).

ثم شاء أن يخص بني هاشم وبني عبد المطلب في اتباعهم النبي، إذ
يتابع فيقول:

يا معشر بن هاشم: أطيعوا محمداً، وصدقوه، تفلحوا وترشدوا.
ثم خص من بني هاشم أربعة لبذلوا النصر للنبي ﷺ بأقصى
قدرتهم:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة	ابني علياً وعم الخير عباساً
وحمزة الأسد المخشي صولته	وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت	في نصر أحمد دون الناس اتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه	تخاله في سواد الليل مقباسا

بهذا الحب العميق للنبي ﷺ وبهذا الإخلاص وبهذا الإيمان وبهذا
الدعم الصادق وبهذا الإيمان العميق أي بهذه الصفحة الرائعة الناصعة النقية
شاء أبو طالب أن ينهي حياته وبعدها يمضي يلاقي ربه حيث تستقبله رحمة
الإله العظيم وقد أدى الأمانة في احتضان جيب الإله المصطفى
محمد ﷺ.

عام الأحزان

ما أن يصل خبر موته لمسامع الرسول ﷺ من الإمام علي عليه السلام حتى

(١) السيرة النبوية ص ٨٦ والعلوية ص ٣٩٠.

انهمرت دموع النبي غزاراً، وطفح الحزن الشديد عن وجهه الكريم فقد ذهب حاميه وكافله وناصره، ذهب القلب الرؤوف ذو النفس الطاهرة العالية السامية، ذهب الذي جعل من حياته كلها وأبنائه كلهم ووجوده كله درعاً واقياً للرسالة وصاحبها لدين الله الحنيف يتقي به كل الضربات وهو سعيد، فحق لرسول الله ﷺ حزنه الشديد، وبحق سمي عام وفاته (عام الأحزان) ويتوجه النبي ﷺ لابن عمه علي عليه السلام قائلاً وقد أخذ الحزن منه مأخذاً: «أمضي فتول غسله فإذا رفعته على سريريه فأعلمني».

وفي رواية عبيد الله ابن أبي رافع يتحدث عن علي أن رسول الله انهمرت عيناه بالدموع الغزار وقال في رواية (غفر الله له ورحمه)^(١). وبعد أن جهزه علي عليه السلام قام رسول الله ﷺ إلى الجنازة مشياً معه الذي كان له أبا رحيماً وهو يبين شيئاً من فضله، إذ يقول ﷺ: «وصلتك رحم - يا عم - وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً»^(٢).

وسار رسول الله ﷺ مشياً الجنازة إلى لحدّه، حتّى إذا ألحد وقف ﷺ وقال: «أما والله لاستغفرن لك ولاشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان»^(٣).

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٤

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣، ص ٣١٤.

(٣) نفس المصدر. (من المعروف أن كل ابن آدم محتاج لشفاعة المصطفى يوم القيامة).

وهاهو رسول الله يبين للعالم مكانة عمه أبي طالب عندما يندبه قائلاً
مدوياً: (وا أبتاه، وا أبا طالباه، وا حزناه عليك يا عماء، كيف أسلوا عنك يا
من ريتني صغيراً، وأجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة
والروح من الجسد)^(١).

وعندما يذهب الحصن الذي كان يحمي رسول الله تشرئب أعناق
القوم أعداء الله لأذى النبي، إذ يصرح بذلك النبي ﷺ: (ما نالت مني
قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب)^(٢).

وقال ﷺ: «يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك».

وإذ حما الله عز وعلا رسوله بعمه أبي طالب فهذا هو النداء الإلهي
يأتيه بالأمر المدبر في الحديث القدسي: (أخرج منها - أي مكة - فقد مات
ناصرك)^(٣).

(١) الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر، ج ٧، ص ١١٢، طبعة مصر، سنة ١٣٢٥.

(٢) السيرة النبوية ج ١، ص ٨٨ و ص ٢٨١، والحلية ج ١، ص ٣٩١، والطبري ج ٢ ص ٨.

وابن الأثير ج ٢ ص ٦٢.

(٣) النهج ج ١، ص ١٠.

الإساءة لأبي طالب والهداية الإلهية

بعد هذه الجولة السريعة والومضة الخاطفة من حياة أبي طالب الناصعة نريد أن نقف وقفة يفترض أن تكون عجيبة ولكنها صارت لدى البعض أمراً مألوفاً كما أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً كما أخبر بذلك النبي ﷺ: (كيف بكم إذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً).
الوقفة العجيبة هي مع أناس يصدقون من يقول بأن أبا طالب - والعياذ بالله - لم يؤمن، بل كان كافراً ومات كافراً.

ووقفنا ليس مع من يقولون هذا القول بل مع أولئك الذين يصدقون كل ما يسمعون، ولا بد لنا من هذه الوقفة، ولا بد لنا من استعراض هذه الأدعاءات، هذا هو أسلوب القرآن، إذ يقف مع كل الأعاجيب والأكاذيب رغم تفاهتها وعدم ارتقائها إلى مستوى الاعتبار، فقد جاء في كتاب الله ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

فمنهم من يقول: (أبو طالب كافر) ... وقد عمل ما عمل وقال ما قال، وجاهد ما جاهد، وضحى ما ضحى!! لكن لا بد لنا من الإصغاء والرد رغم تفاهة القول ودناءته، وقد أصغى القرآن ورد على أعظم من هذا الكلام

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

وهو نفي وجود الله أو الشك فيه ولنا في القرآن أسوة حسنة.
وكما قلنا فإننا سوف نناقش أولئك الناس الذين صدقوا الادعاءات
وليس مع أولئك الذين ليسوا على صواب ولهم غاياتهم وأهدافهم ويعرفون
أنهم خاطئون كما يعرفون أنفسهم!!
فلأولئك الذين يصدقون هذه الادعاءات نوجه كلامنا.

جلست مع العقل

سوف نتحاور ونتباحث قليلاً مع عقولنا التي عرفنا الله بها قبل كل
خبر، عقولنا هي الكائنات التي أودعها الله القدرة على معرفة الخير من الشر،
والسيء من الحسن، والمعقول من اللامعقول، ثم نعود بعد ذلك إلى
الأحاديث والآيات القرآنية لنخرج بعد ذلك بصورة واضحة عن الحق
والحقيقة نتجنب بها طريق الهلكة فنكون بإذن الله من الناجين!!
وأرجو منك أيها القارئ الكريم أن تتجرد ولو لفترة وجيزة من أي
عصبية أو انحياز لقول أو رأي لفئة ولا بأس بالعصبية للحق المطلق كالقرآن
الكريم أو القول الذي لا يختلف عليه أحد، وأكرر التجرد فقط لفترة
وجيزة كي نستطيع أن نصل إلى الحقيقة إن كنت تنشدها!
فإذا استطعت أن تصل لهذا التجرد والحياد فاستمر بقراءة هذا الكتاب
وإلا فأطرحه جانباً.

الهداية

الهداية بيد مَنْ؟

والجواب عندي وعندك واحد وهو الله تبارك وتعالى جل شأنه ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(١)، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٢).

إذن فالله هو الذي يهدي، والهداية بيده.

والسؤال الثاني من الذي يهديه الله؟

وعلى أي أساس يهدي الله شخصاً معيناً دون آخر؟

وأظن بأن أجوبة كثيرة جداً وغير محدودة يمكن أن تكون مجلدات لهذا السؤال، ولكن بشكل مختصر فإن العقل يقول أن هناك أناساً يستحقون الهداية من الله وهم الذي يهديهم. وأن هناك أناساً سيؤون لا يستحقون الهداية فيتركهم الله في غيهم يعمهون.

أليس هذا منطقياً؟

ونحن نشاهد في حياتنا العادية كيف أن أناساً طيبون يوفقههم الله لطيبتهم للهداية غالباً، بينما لا نجد الظالمين السيئين يوفقوا للهداية غالباً، أي إن الله يهدي قوماً على اعتبارات معينة ويترك آخرين لاعتبارات أيضاً، فلنبحث قليلاً وبشيء من الاختصار في الأسس التي على أساسها يهدي الله أناساً. والأسس التي على أساسها لا يهدي الله أناساً آخرين.

(١) سورة الكهف: ١٧.

(٢) سورة الأعراف: ٤٣.

الأسس التي يهدي بها الله قوما ويترك آخرين

هناك نوعان من الهداية وهي من الله.

النوع الأول:

تكون عامة لكل الناس وهي الهداية التي تكون متساوية لكل الناس، إذ يقول الله عز وجل ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) وهي بمعنى الإرشاد إلى الطريق فكل إنسان يجد في نفسه إرشاداً إلى معرفة الحق وهو بدوره عليه أن يستفيد من هذه الهداية الأولى، فإذا تصرف بشكل إيجابي جاءته الهداية الثانية وإذا تصرف بشكل سلبي يتركه الله، وكذلك في آية أخرى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) بينما الله سبحانه وتعالى يشمل بعنايته من يستفيد من الهداية الأولى ويتصرف بشكل إيجابي ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٣) بينما تجد أن الهداية الثانية لا تصيب فئة سيئة لأنهم أساءوا رغم الهداية الأولى التي شملهم الله بها فأولئك لا يهديهم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٤).

(١) سورة الإنسان ٣.

(٢) سورة فصلت: ١٧.

(٣) سورة محمد: ١٧.

(٤) سورة غافر: ٢٨.

فنجد أن الله لا يهدي أقواماً لهذه السلوكيات السلبية التي يمارسونها، بينما تشمل الهداية الإلهية أناساً لهم تصرفات إيجابية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١)، وهاهو سلمان المحمدي جاء باحثاً عن الحقيقة، باحثاً عن رسول آخر الزمان، ومعه علامات آخر المرسلين فبحثه وعنايه جهاد في الله فتوصل إلى ما وصل إليه لأنه أراد الهداية بينما العتاة من قريش القرييون من رسول الله يشاهدون الحق بأعينهم وينكرون لأنهم أرادوا المصلحة العاجلة فكذبوا وأنكروا الحقيقة فلم يستحقوا هداية الله، والله سبحانه قد بين هذه الأمور في القرآن الكريم بشكل جلي فهو العادل يهدي على أسس ويترك على أسس أقواماً في طغيانهم يعمهون، وعلينا أن نفهم ونتدبر القرآن الكريم ونعي الحكمة الإلهية فنفهم الناس والأشخاص من رؤى قرآنية ووفق تفسير النبي وأهل بيته الذين أوصى بهم سناً للنجاة: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢).

فهذا أبو سفيان الذي آذى رسول الله وحاربه حرباً لا هوادة فيها وظل من المعاندين والذين آذوا رسول الله حتى كاد رسول الله يقتل في أحد على أيديهم، ثم لا يسلم إلا ليلة فتح مكة خوفاً أفهذا يكون ممن استحق هداية الله ودخل الجنة إذ يهدية الله تعالى!!!!

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٦٨، وقال: رواه البراز والطبراني.

وحتى في تلك الليلة تلجلج في الشهادتين ولم يكن يريد أن ينطق بهما لولا خوفه من سيوف المسلمين، فرغم تاريخه وما اقتترف يضل من المهديين عند بعض الناس، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وكيف تحكمون.

وفي المقابل نجد شخصاً يؤهله سلوكه بأن تنزل عليه الهداية والفيوضات الإلهية بأجلى صورها، علمه ونهج حياته وجهاده في الله وتضحياته هي هداية بحد ذاتها تستحق زيادة الهداية، وأظنك أخي القارئ علمت من أريد وهو بيضة الحمد شيخ البطحاء حامي رسول الله ﷺ وحامي رسالة السماء عم رسول الله وحبيبه أبو طالب بن عبد المطلب.

صفاته، جهاده، سلوكه، تضحياته، علمه ومعرفته كلها مقومات تجعله مهبطاً لهداية الله فبالرغم من كل الدلائل التاريخية والحقائق المنطقية يأتي من يصدق بأنه لم يهده الله.

ولا أعلم لأي شيء تخطأ هداية السماء، وأي مصلحة لأبي طالب تجعله يرفض هداية الله، فهل - والعياذ بالله - بكفره يربح مالاً من قريش أم كان محباً لكفار قريش وكان يرجو رضاهم أم كان الكفر عنده شأناً ممدوحاً حتى يتمسك به؟

ما هي البواعث لعدم إيمانه؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(١) فهل عند أبي طالب

منها شيء والعياذ بالله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) فهل كان أبو طالب منهم والعياذ بالله.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) ماذا نقول؟

لو كان عندنا شيء يسير من الأنصاف لأدركنا الحقيقة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣) وهو تأكيد من الله عز وجل بالهداية فهل كان هناك أعظم جهاداً من أبي طالب في حمايته للدعوة في مهدها وجهاده من خلال أولاده (علي وجعفر) ونفسه ووجوده وحياته كلها من أولها إلى آخرها.

فأي منطق يقبل أن يكون قلب أبي طالب بعيداً عن الهداية السماوية، وقد أخبرنا تعالى بأنها تكون للمجاهدين وهو من أكثرهم نصيباً وأوفرهم حظاً في هذا السبيل.

بل هو المهدي وقد زاده الله هدى ونوراً وهده الله سبله التي قادته إلى حماية رسول الله رغم كل المصائب الصعاب التي أصابته طوال حياته ولقد أجاد ووفى ولقد أحبه رسول الله وأحبه الله وأحبه المؤمنون جميعاً.

في نقطة نهائية نقول من يهديه الله؟

الله يهدي من يستحق الهداية ويستحقها من خلال أفعاله وتصرفاته،

(١) سورة الأحقاف: ١٠.

(٢) سورة الصف: ٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

فهل يستحق أبو طالب الهداية؟

ما هي أفعاله وتصرفاته؟

إن أعظم كائن في الوجود هو النبي محمد ﷺ ومن يكون الأكثر عوناً وناصرأ له يكون هو الأعظم والأجل من دون الآخرين فهل هناك في زمان أبي طالب من كان أعظم خدمة وعوناً وناصرأ للرسول من أبي طالب؟ ثم ماذا كانت أفعاله وتصرفاته وسلوكياته كي يستحق أو لا يستحق

الهداية من الله؟

عندما ينصر أبو طالب الرسول فإنه ناصر للدين لأن الرسول كان هو الدين وليس عنده غير الدين، حياته وسكناته كانت كلها لله والدين، وعونه ونصرة أبي طالب كلها لهذا الدين الذي جاء مبشراً ونذيراً، الدين يحدد هذا للجنة وهذا للنار فهل ينصر أبو طالب ديناً يقول له أنت إلى النار؟

الدين معاناة وسلوك وتصرفات، وقد ورد في الحديث الشريف:

«الدين المعاملة».

وهل كان هناك معاملة أو سلوك أو تصرفات أعظم من نصرة النبي ودينه، فلأي شيء يضل الله أبا طالب ولا يهديه وهل هناك هداية أكثر مما كان فيها أبو طالب؟

نسأل الله أن يهدينا ولو باليسير من الهداية التي هدى بها أبا طالب، فنجد حياتنا لله ونضحى من أجل دينه بكل ما أعطانا الله، فتريح تجارتنا.

إذن لماذا اتهم بالكفر والعباد بالله، ولمن المصلحة في ذلك، ومن

المستفيد؟

وراثة المظلومية

إذا أردنا أن نعرف السبب وراء تكفير أبي طالب والعياذ بالله فعلينا أن نأخذ أمثلة لأشخاص أعظم من أبي طالب وقد كفرهم البعض هم داخل دائرة المسلمين، نعم لقد كفروا من هو أعظم من أبي طالب وهو أبنه علي بن أبي طالب عليه السلام فرغم عظم شأنه عليه السلام عند الله والنبي في القرآن فقد كفروه، ولعنوه على المنابر في بلاد المسلمين لمدة (٨٠) سنة آبان الدولة الأموية الجائرة، وهم يحسبون أنهم مأجورون على ذلك ولكي نعرف عظم الجريمة التي يقترفها أولئك، علينا أن نعرف شأن الإمام علي عليه السلام ومكانته في الإسلام، وبرغم ذلك كفروه ولعنوه فما قيمة ما نسبوه لأبي طالب عندهم.

ولنحاول أن نعرف شيئاً من فضل علي عليه السلام ولندخل بروية هذا البحر المتلاطم من المقام العظيم له عليه السلام ولنشاهد في المقابل التناقض القائم القائل عند البعض في نكرانه، فليقولوا ما يشاؤون والله يقول ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾^(١) ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُءِ﴾^(٢) فهم مساكين ليس لهم إلا القول، وهو ضعيف ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا

(١) سورة مريم: ٧٩.

(٢) سورة القمر: ٢٦.

نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاحِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(١) ولكن هذا القول الضعيف يؤدي بالكثيرين إلى نار جهنم. نعم، ضعيف ويؤدي إلى نار جهنم، أليس إبليس يأخذ معه الكثير إلى جهنم.

والله يقول ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) فعذار حذار أيها الإنسان من هوى يأخذك إلى الهاوية، حيث لا ينفعك ندم.

(١) سورة الصف: ٨

(٢) سورة النساء: ٧٦

الإمام علي عليه السلام

من هو الإمام علي عليه السلام؟

قبل أن نبدأ أسألك أيها القارئ سؤالاً فأجب عليه في نفسك ووجدانك.

لو جئتك بفضيلة للإمام علي عليه السلام و تراها كبيرة عليه من نفسك ولا تحتل صحتها ثم جئتك بالمصدر من رسول الله وعن طريق الفريقين فهل ستدعن وتقبل وتسلم أم ستبحث عن التضعيف وعن مخرج يعفك في القبول والتصديق أجب ثم أكمل القراءة.

يقول الحق: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) قبلته نفسك أم رفضته لأن النفس كما جاء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٣) فحذار حذار من نفسك ومن هواك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١).

وهنا سوف نذكر الشيء اليسير من فضائل الإمام علي عليه السلام وكل فضيلة منها لو لم يكن إلا هي لكفته فضلاً ومكانة عالية عند جميع المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

قبل أن نبدأ بسرد جملة يسيرة من فضائل الإمام علي عليه السلام لابد من توضيح أمر وهو إن الإمام علي عليه السلام إنسان غير عادي بتاتاً فعليه صارت الاختلافات وبه حارت العقول، فهو محط امتحان للأمة، وقد دخل النار به اثنان فمنهم من ألّه الإمام علي عليه السلام وقال هو إله ورب والعياذ بالله، ومنهم من جحده وكفره وسبه وقد حارب الإمام علي عليه السلام هاتان الفئتان لتفيثا إلى الحق، فمنهم من قبل الحق ونجا، ومنهم من عاند وهلك.

فكل ما يتعلق بالإمام علي عليه السلام غير عادي وغير طبيعي ولو أطلعت إلى ما جاء به عن رسول الله لهالك الأمر ولصدمت لو فكرت به ولو أطلعت على جزء من علمه لهالك الأمر ولصعقت من هول ما عنده من علوم ولا عجب في ذلك فهو باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وكم هو علم الرسول أنه بحجم مدينة كاملة فكم تستطيع أن تضع من كتب وعلوم في مدينة؟

وبابها علي بن أبي طالب عليه السلام وهو القائل: «علمني رسول الله ألف

باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»^(١) لم يظهر منها إلا اليسير وسيظهر منه الكثير بظهور المهدي المنتظر كما جاء في الروايات الكثيرة حول اكتمال العقول وانتشار العلم في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام وعجل فرجه الشريف.

لعلم أن رسول الله ليس له إلا باب واحد وهو الإمام علي عليه السلام هكذا أراد الله ورسوله ومن أراد المدينة فليأتها من بابها ومن أبي فإلى الضياع والشتات، قد انتقل علم علي عليه السلام إلى الحسن ثم الحسين وهكذا إلى آخرهم كما أشار رسول الله ﷺ (أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)^(٢).

والمهم إن الإمام علي عليه السلام محور الدين بعد رسول الله، وهو امتداد لرسول الله عدا النبوة كما ستقرأ لاحقاً، هو جبل هو قمة، كما أشار عن نفسه في أحد المواقف الصعبة أبان الفتنة بعد قتل الخليفة الثالث حين اجتمع عليه الصحابة يرجونه قبول الخلافة عندما قال: (ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير)، في خطبة الشقشقية ولكن المسلمون بخسوه حقه وظلموه أيما ظلم ولذا جاء في الخبر أن أول من يجثو بين يدي الرحمان يوم القيامة هو الإمام علي عليه السلام كما جاء في الصواعق المحرقة عن البخاري

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٩. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال علي عليه السلام: لقد علمني

رسول الله ألف باب يفتح من كل باب ألف باب».

(٢) دعائم الإسلام، ج ١، ص ٨٠

عن علي رضي الله عنه : (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمان للخصومة يوم القيامة)^(١)، وجاء في الصواعق أيضاً ص ١٢٧ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال: اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعدائه شيئاً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقتله فأطروه كيداً منهم له). أو يذهبوا إلى أقربائه فيتهمونهم كما فعلوا تجاه أبي طالب عليه السلام وحاولوا جاهدين نزع فضائله عنه، وعبثاً حاول أعداءه والذين هم أعداء النبي صلى الله عليه وآله وأعداء الله قبل أن يكونوا أعداء علي.

على أي حالة فلنبدأ بذكر اليسير من فضائله لنعرف الجرم الذي أقترفه أعداءه، وقد أورد ابن حجر الهيثمي رغم تعصبه ضد مواليه أورد باباً خاصاً في فضائل الإمام علي عليه السلام، إذ لا بد من ذكرها ليصنف نفسه من مواليه، فقد جاء في ص ١٢٠ من صواعقه في فصل فضائله: (هي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي، وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات لم يرو لأحد من الصحابة من الفضائل أكثر ما روي لعلي رضي الله عنه، وقال الخليلي في الإرشاد قال بعض الحفاظ تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف حديث والله أعلم، والكلام لا زال لابن حجر في صواعقه ص ١٢١.

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٦.

وسأبدل ما بوسعي أن تكون الفضائل مما ورد عن طريق السنة وليس عن طريق شيعة أهل البيت ولو أردنا أن نذكر فضائله بما ورد عن رسول الله من طريق أهل البيت لطال بنا المقام وطال ولقال قائل أنها ليست حجة على أهل السنة.

١- ولادته: فالإمام علي عليه السلام إمام الأعاجيب منذ ساعته الأولى في الحياة، منها أمه فاطمة بنت أسد المؤمنة التقية والتي ربت رسول الله في بيتها تأتي إلى بيت الله الحرام وقد حملت في أحشائها النور، الإمام علي عليه السلام وأخذت تناجي ربها، لم تذهب إلى اللالة ولا العزى، ولا مائة الثالثة الأخرى، بل توجهت وفق الحنيفة البيضاء كما علمها أبو طالب وأطلقت لسانها لباريها واثقة مطمئنة، إذ تمسكت بأستار الكعبة: (ربي أني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وأنني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بنى البيت العتيق، فيحق الذي بنى هذا البيت ويحق المولود الذي في بطني لما يسرت ولادتي..).

وإذا بجواب القدرة يأتي على الفور فينشق جدار الكعبة وتدخل فيها ثم يغلق الجدار... ولم يفتح بمحاولات البعض لا الجدار ولا باب الكعبة، فعلم الناس أن ذلك أمر من عند الله فتركوها وشأنها فبقيت فاطمة بنت أسد في ضيافة الله لمدة (٣) أيام في بيته الحرام، وفي اليوم الرابع خرجت ويدها وليدها وكان بانتظارها النبي ﷺ الذي تناوله وضمه إلى صدره ^(١).

(١) نور الأبصار للشبلخي ص ٩٥ (من علماء السنة)، والفصول المهمة ص ٣٠ الآلوسي

وهذه فضيلة أنفرد بها علي بن أبي طالب عليه السلام في العالم كله ألا ترمز هذه الحادثة إلى شيء؟

الله سبحانه وتعالى في القرآن لا يريد أن نفوت هذه النظرة إلى الجمل في الصحراء دون أن نأخذ منها العبرة ونفكر ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(١) أفلا ننظر إلى هذه الحادثة الكبيرة بعين الاعتبار والتأمل!

أفلا ينظرون إلى فاطمة بنت أسد أين ولدت؟
لماذا لم تلد هذه السيدة في بيتها كبقية النساء؟
لماذا شق الله لها جدار الكعبة بالمعجزة؟
ثم لماذا الكعبة بيت الله المقدس؟
من يكون هذا المولود؟
وما هو شأنه بالنسبة إلى الله ورسوله والرسالة؟
أرجوك أيها القارئ الكريم فكر ولا تستمع إلى تفكير الآخرين،
استمع إلى تفكير الحر وكن مستقلاً إلا عن الله ورسوله.
٢- قول النبي ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها».
وفي رواية (من أراد العلم فليأت الباب)^(٢).

(١) سورة الغاشية: ١٧.

(٢) المصادر كثيرة جداً ومتواترة عند الفريقين منها عن الصواعق ص ١٢٢ نقلاً عن

الطبراني والحاكم والترمذي.

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها».

إن مسألة العلم مسألة جوهرية ومصيرية إذ أن العلم هو الخارطة التي توضح لنا مسيرتنا وكل أمور حياتنا الدنيا والآخرة وعلم رسول الله كثير لم يُشرح القرآن كله في حياته الرسالية القصيرة، ولم يبين إلا اليسير من العلوم الغزيرة فكل علوم الأرض والسموات لديه وهو يقول أنا مدينة العلم كناية عن الحجم والتنوع الضخم فإن اردتموه فذا بابها (علي ابن أبي طالب).

فإن قصد أحد غيره وأخطأ فهل سيلوم أحد إلا نفسه ومن سيكون خاسراً غيره أكرر عليك أخي القارئ لا تمر على كلام رسول الله ﷺ مرور الكرام فهو لك ولمصلحتك تدبر وتأمل به حتى تأخذ منه الفائدة، وإذا أردت أن تعرف النزر القليل من علم علي فأنظر إلى كتاب نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده (القاهرة) وأبحث عن خطبته الارتجالية التي حيرت العقول، أبحث عن خطبة له ارتجالية لا تحوي حرفاً واحداً به نقطة أي لا باء ولا ناء ولا جيم ولا غين ... الخ.

٣- قول رسول الله ﷺ «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى

غير أنه لا نبي بعدي»^(١). كما ذكره في الصواعق عن الشيخان والطبراني.

إن هذه الأحاديث هي لنا نحن المسلمين كي نستفيد وأن أردنا أن نعرف منزلة علي من النبي يجب أن نعرف منزلة هارون من موسى فلننظر إلى القرآن كي نعرف، يقول موسى في القرآن ﴿وَاجْعَلْ لِي زَيراً مِنْ

(١) الاستيعاب، الحافظ الأندلسي، ج ٣، ص ١٠٩٨.

أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي^(١) وقال الله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾^(٢).

وهنا نسأل سؤالاً، لو كان بعد رسول الله نبي فمن سيكون غير الإمام علي بنص كلام رسول الله ولكن لا نبوة بعد النبي.

٤- قول رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه»^(٣). ثم أعطى الراية علي عليه السلام دون غيره.

والقصة في غزوة خيبر: أخرج الشيخان عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فلما أصبح الصباح غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب، فقيل: يشتكي عينه، قال: فأرسلوا إليه فأتى به فجعل الرسول ﷺ من ماء فمه المبارك في عينه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية وكان ما كان من بطولات سطرها للتاريخ في خيبر وفتحها كما أخبر الرسول ﷺ، وقلع باب خيبر بيده وكان الباب لا يحركه إلا ٤٠ رجلاً.

(١) سورة طه: ٢٩-٣١.

(٢) سورة القصص: ٣٥.

(٣) الاحتجاج، ج ١، ص ٢٧٢.

٥- أنه أحب الناس إلى رسول الله كما ذكرت عائشة. أخرج الترمذي عن عائشة: «كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله وزوجها أحب الرجال إليه» ورسول الله لا يحب ويكره إلا في الله.

٦- إن لكل شيء عنوان وإشارة تدل عليه فإذا أردت أن تعرف إيمان شخص فلذلك علامات فما هي علامة المؤمن الرابع فقد ذكر صاحب الصواعق ص ١٢٥ أخرج الخطيب عن انس أنه قال رسول الله ﷺ: «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب»، وقال ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني»^(١).

٧- علي سيد العرب: عن الصواعق ص ١٢٢ روى البيهقي أنه ظهر علي من البعد فقال ﷺ: «هذا سيد العرب، فقالت عائشة: أأنت سيد العرب؟ فقال ﷺ: أنا سيد العالمين وهو سيد العرب» ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، وقال ﷺ: «من سب علي فقد سبني».

٨- أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه في الصواعق ص ١٢٢ قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي».

(١) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٣٣١. ذكر العكبري في الإنابة عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: كنت أنا ورجلان في المسجد فلنا من علي عليه السلام فأقبل النبي ﷺ مغضباً فقال: ما لكم وعلي، من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذى علياً فقد آذاني.

٩- حديث المؤاخاة: عن الصواعق ص ١٢٢ أخرج الترمذي أخا النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

هل سألت أيها القارئ المسلم لم يؤاخ رسول الله علياً مع أحد من المسلمين؟

هذا سؤال يحتاج إلى تدبر!!

١٠- ومن الأحاديث المهمة والمصيرية في فضل علي وكل كلام النبي ﷺ مهم، أنه ﷺ كما جاء في الصواعق ص ١٢٣، أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعلي أنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

١١- أخرج الطبراني عن الصواعق ص ١٤٤ عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض». والقرآن كتاب لا يأتيه الباطل وعلي ﷺ كذلك.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: ما يريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي.

ألا تنتبه إلى كلام رسول الله بشيء من الاحترام والفهم والاستيعاب ونطبقه فنستفيد كما أراد لك ﷺ نبي الرحمة أي رحمة بك.

١٢- عن الصواعق ص ١٢٧ أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً. وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال، قال علي: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بلبيل نزلت أم بنهار أم في سهل أم جبل.

١٣- ويذكر ابن حجر في صواعقه هذه الكرامة ص ١٢٨، فيقول: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس رسول الله ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر، فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبي ﷺ: اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس. فطلعت بعدما غربت. ماذا يمكنه أن يعلق الإنسان على هذه الحادثة، ألا نحتاج في ذلك أن نقف متأملين في هذه الفضيلة التي لو كانت لواحد آخر غير علي عليه السلام ممن يُحسنون الظن بهم فما عساهم أن يفعلوا؟.

نعتقد أنهم سوف يكفرون كل من يحاول المساس بصاحب هذه الفضيلة لو كان غير علي عليه السلام.

١٤- عن الصواعق ص ١٢٧: أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير وأخرج ابن عساكر عنه قال ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي وأخرج عنه أيضاً قال: «نزل في علي ثلاثمائة آية».

ومن أقواله عليه السلام التي تنم عن سمو نفسه العظيمة: «والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت».

١٥- أخرج الدارقطني أن علياً قال للسته الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري ^(١)، قالوا: اللهم لا.. وروي عن ابن السحاك أن أبا بكر قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز.

١٦- بعض ما نزل به من القرآن، أخرج الواقدي عن ابن عباس قال كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً ونهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية فنزل فيه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ يُسْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^{(٢)(٣)}.

١٧- أما موقفه في معركة الأحزاب (الخنزق) فهو موقف مصيري وجوهري في تقرير مصير الرسالة المحمدية، إن الله يستطيع أن ينصر النبي بالغيب وبكلمة واحدة كن فيكون لكن الله أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص ١٢٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٣١.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٤.

وليكشف معادن الناس وليميز الخبيث من الطيب ويستحق كل إنسان مكانة
بجدارة هكذا جرت سنة الله في خلقه.

في معركة الأحزاب كان الموقف بالنسبة للمسلمين شديداً للغاية،
وقد عبر القرآن عن هذا الموقف الشديد إذ يقول عز من قائل جلا وعلا،
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ
زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾^(١).

ويتضح من هذه الآيات موقفه المسلمين الضعيف إذ تكالبت عليهم
قريش وحلفاؤهم من الخارج والمنافقون من الداخل وتوقع الكثير نهاية
النبي ﷺ ونهاية دعوته. مما دعا عمرو بن عبد ود العامري إلى التبجح
حين عبر الخندق بقفزه بفرسه وأخذ يستهزأ بالمسلمين وهو بطل مجرب
يعادل (١٠٠٠) فارس وأخذ يدعوهم إلى المبارزة فلم يجبه أحد سوى
علي عليه السلام إذ ترك مكانه في المعركة وأقبل إلى النبي ﷺ وقال: أنا له يا
رسول الله، وكان النبي ﷺ يعرض عنه منتظراً أحداً من المسلمين غير
علي عليه السلام ليجيب نداء المبارزة ولكن أحداً لم يُجب عمرو ابن عبد ود،
ويعيد عمرو النداء ويعيد علي عليه السلام استعداداً للمبارزة ويعيد عمرو مستهزئاً.
أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها، أفلا يحب أحد
منكم أن يذهب إليها، فجعل ينشد كما يروي الحلبي في سيرته، والمفيد
في إرشاده نقلاً عن سيرة الأئمة الاثنى عشر لمؤلفه هاشم الحسني:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
وكذلك أني لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
أن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال الرسول ﷺ مستنهضاً المسلمين: «من يبرز له وأنا الظامن على الله له الجنة». فلم يجبه أحد.

عند ذلك أذن رسول الله ﷺ لعلي وأعطاه سيفه وألبسه درعه وعمامته ورفع يديه نحو السماء وقال ﷺ: «اللهم أنك أخذت عبدة يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تدعني فرداً، وأنت خير الوارثين» فبرز إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
أنني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها عند الهزاهز^(١)

ودارت بينهم المبارزة وما أنجلت الغبرة إلا والمسلمون يكبرون وقد عاد علي منتصراً بقتل عدو الله، وكانت هذه الحادثة الفصل في انهيار معنويات المشركين وانتصار المسلمين لذا قال رسول الله ﷺ، كما جاء في مستدرك الصحيحين: «لمبارزة علي لعمر يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة».

وبعد ذلك نزلت الآية: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١) بعلي.

١٨- يوم الغدير: قال ابن حجر في صواعقه ص ١٢٢، قال ﷺ يوم غدير خم وهو موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين، قال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وقد رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وأن كثيراً من طرقه صحيحة.

أن حادثة غدير خم هي من الأحداث المصيرية في تاريخ الأمة الإسلامية لذا لزم التوضيح أكثر حول هذه الحادثة والتفصيل لتعرف أهميتها وهدفها الحقيقي، ففي الحجة الأخيرة للنبي ﷺ كان بأبي هو وأمي يشير أكثر من مرة إنما هي الأخيرة وهي الوداع، وسمعه مرة يقول لعلي عليه السلام لا ألقاكم بعد عامي هذا، ومرة يقول: أوشك أن أدعي فأجيب.

فبعد أن حج وطفق راجعاً للمدينة مع الحشود الكبيرة للمدينة مع الحشود الكبيرة التي لم يسبق لها مثيل وقبل أن يتفرق جمع المسلمين استوقفهم ونزل قرب الجحفة بغدير خم وجاء لأبن كثير عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقم من ثم وقف بين تلك الجموع وقال: «كأنني قد دعيت فأجبت ثم قال ﷺ: أني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأنظروا كيف تخلقوني فيهما فأنهما لن يتفرقا حتى يرثي علي الحوض. ثم قال: «أن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن» وأخذ بيد علي عليه السلام

فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

وقد رواه ابن كثير أيضاً عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب، وجاء في رواية البراء ان عمر بن الخطاب لقي علياً بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من خطابه وقال له: هنيئاً لك لقد أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

ولقد جاء هذا الأمر الإلهي بعد نزول هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

ثم يروي ابن كثير رواية ثانية عن أبي هريرة: نزلت على النبي ﷺ هذه الآية بعد هذه المناسبة وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

يقول ابن كثير أن الطبري قد ألف في غدير خم مجلدين جمع فيهما أسانيده وألفاظه وقال عنه متواتر ولا سبيل لإنكاره، ورواه الإمام أحمد والرازي في تفسيره والبغدادى في تاريخه والطبراني في ذخائره وأكدوا أن

(١) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ نزلت بهذه المناسبة.

وجاء أيضاً للمفيد في إرشاده: إن النبي ﷺ أفرد خيمة لعلي وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ويسلموا عليه بأمره المؤمنين ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه من أزواجه ونساء المسلمين، وإذا أردت أخي المؤمن أن تعرف عن الغدير أكثر فعليك بمراجعة كتاب الغدير للعلامة الأميني.

١٩- هو جبل الله: فقد جاء في كتاب (علي في القرآن) للسيد صادق الشيرازي ج ١ ص ١٣٢، روى العلامة البحراني عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أمام الحنابلة عن ابن المبارك بن مسرور (بإسناده المذكور) عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذا جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول: اعتصموا بجبل الله، فما جبل الله الذي نعتصم به؟

فضرب النبي ﷺ يده في يد علي وقال: «تمسكوا بهذا هو الجبل المتين»^(١).

٢٠- عم يتساءلون: روى الحافظ الحسكاني (الحنفي) قال: أخبرنا عقيل بن الحسين بإسناده المذكور عن عبد خير عن علي عليه السلام قال: أقبل

(١) غاية المرام عن علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي، ج ١، ص ١٣٢.

صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: الأمر بعدك لمن؟

قال ﷺ: لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١). يعني: يسألك أهل

مكة عن خلافة علي ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾^(٢) فمنهم المصدق ومنهم المكذب بولايته.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٣) وهو رد عليهم سيعرفون

خلافته أنها حق إذ يسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا بر ولا بحر إلا منكر ونكير يسألانه، يقولان من ربك؟ وما دينك؟ وما من نبيك؟ ومن إمامك؟^(٤).

٢١- سورة العاديات: أجتمع جماعة من العرب على وادي اليباس

ليبيتوا للنبي ﷺ بالمدينة يريدون الهجوم عليه والقضاء عليه ﷺ فقال النبي ﷺ لأصحابه من لهؤلاء فقام جماعة من أهل الصفة وقالوا نحن، فأمر أبا بكر بأخذ اللواء والمضي لبني سليم فهزموهم وقتل جمعاً من المسلمين ورجع المسلمون مهزومون مع أبي بكر، ثم أعيدت الكرة مع عمر ومع عمر بن العاص وكانت نفس النتيجة، وبقي النبي ﷺ أياماً، ثم بعث

(١) سورة النبأ: ١.

(٢) سورة النبأ: ٢-٣.

(٣) سورة النبأ: ٤-٥.

(٤) شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣١٨، عن علي في القرآن للشيرازي ج ٢ ص ٥٦١.

علياً إليهم، فسار إليهم علياً من طريق غير المألوف، وهجم عليهم مع طلوع الفجر هجوماً خاطفاً كالبرق فذاهمهم وأرعبهم وهزمهم وأخذهم زرافات أسارى، فنزلت هذه الآية ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾^(١) وهي تصف قدح شرار أرجل الخيل إذ هجمت^(٢).

٢٢- الوحيد الذي هجم عليه المسلمون يطلبون منه أن يكون عليهم ولياً بعد مقتل عثمان بقبل بقيام الحجة عليه: ثم خطب يقول في خطبته الشفشفية من نهج البلاغة شرح محمد عبده، والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر غني السيل ولا يرقى إلي الطير ... إلى آخر الخطبة^(٣).

٢٣- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤) يروي السيوطي عن رسول الله ﷺ أنه قال ﷺ أنا منذر هذه الأمة وعلي هو الهاد.

آه يا أمير المؤمنين كم أنت عظيم، وكم أنت مظلوم، فأنت فتنة هذه الأمة، ومن أراد الاستزادة في معرفة الآيات النازلة في فضل علي ابن أبي طالب وعن طريق غير الشيعة فعليه بمراجعة كتاب علي في القرآن لسماحة

(١) سورة العاديات: ١-٥.

(٢) وقد نقل ذلك السيد هاشم البحراني في تفسيره البرهان في ج ٥، ص ٧٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٥١.

(٤) سورة الرعد: ٧.

المرجع السيد صادق الشيرازي ويقع في مجلدين؟

٢٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١) أخرج الحافظ جمال الدين النرندي عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت قال رسول الله ﷺ لعلي: (هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين)^(٢).

وفي رواية أخرى في الصواعق أيضاً قال رسول الله ﷺ: «يا علي أنت وشيعتك على منابر من نور يوم القيامة».

٢٥- في الصواعق ص ١٥٦ أخرج الطبراني قال رسول الله ﷺ: «أن الله عز وجل جعل ذرية كل بني في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»^(٣).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «تبسم رسول الله حين تزويج علي من فاطمة، وقال لعلي: إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة».

تأمل أخي القارئ إن الله عز وجل هو الذي يأمر رسول الله ﷺ من تزويج علي لفاطمة وتكون ذريتهما هي ذرية رسول الله.

٢٦- قال النبي ﷺ من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى

(١) سورة البينة: ٧.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٦١.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ١٥٦.

الله^(١)، وجاء في ص ١٧٣ أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه خرج مغضباً وقال ﷺ ما بال أقوام ينتقصون علياً ... إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وأنا خلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم^(٢).

٢٧- تفسير الآية ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣) أخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية في تفسير هذه الآية، لا يبقى مؤمن ولا مؤمنة إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته، وقال ﷺ عن البيهقي وأبو الشيخ الديلمي أنه قال ﷺ: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ... وتكون أهلي أحب إليه من أهله^(٤).

وهذا شيء يسير مما أفلت من رقابة قانون مطبوعات الأمويين الذين كانوا يصدرن حكم الاعداد سلفاً لكل من يروي فضيلة واحد في علي عليه السلام، أو في آل النبي ﷺ، ومن كبرى الجرائم أن يسمي المسلم ولده علياً لتكون ذلك عليه وبالأ وخطراً داهم يمكن أن يأتي عليه في كل لحظة. بعد كل هذه الفضائل والتي هي جزء يسير جداً جداً، ومن أراد الزيادة فليراجع كتاب (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) والكتب التي

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٣٥.

(٣) سورة مريم: ٩٦.

(٤) الصواعق، ص ١٧٢.

وردت في سيرة علي عليه السلام مثل كتاب (علي من المهد إلى اللحد) للسيد محمد كاظم القزويني وغيره مما لا يحصى.

بعد كل هذه الفضائل نسمع أن الأمويين أقاموا سبعين ألف منبر في أرجاء الدولة الإسلامية لسب وشتم علي ابن أبي طالب عليه السلام وهي منابر المساجد وفي خطبة الجمعة ولمدة ثمانين عاماً حتى جاء أحد خلفاء الدولة الأمويين وأوقف هذا السب، تخيل عدد المسلمين الذي كانوا يسمعون سب علي عليه السلام من خلال سبعين ألف منبر وثمانين عاماً ويعتبرون ذلك تقرباً لله، والتبرير الذي كان ينشر ويقال لجموع المسلمين كي يعتبروا سبه قربة لله وأن علياً يستحق هذا الشتم، يكفي أن نعرف أنهم قالوا عنه أن كان يشرب الخمر ولم يكن يصلي حتى أن أحداً من الشام عندما سمع أنه قتل في المسجد قال مستغرباً: وماذا كان يفعل علي في المسجد؟!.

إذن فكل فضيلة له كانت تُطمس وفي المقابل تلصق به كل شنيعة ويصرف في ذلك الملايين وتوضع لها الأحاديث والروايات، وكل حديث بشمه.

فإذا كان حال علي هكذا فما بال أبيه أبي طالب، فلم يكن بأحسن حالاً منه عند بني أمية فلا بد أن يكون كافراً وخالداً في نار جهنم، بينما يكون من حارب النبي وآذاه وجاهده بكل جهده من أهل التقوى والورع كأبي سفيان وغيره، والذي تستطيع أن تطلع عليه في باب فضله في كتب الحديث وكل ذلك يجب أن يكون بالأحاديث عن رسول الله ﷺ وكل شيء بشمه، ولقد قال رسول الله ﷺ: «تكثُر بعدي الكذابة علي» هل

أدركت معنى (تكثّر) فميّز أيها القارئ.

فهل من وقفة تأمل أيها القارئ تكشف من خلالها الظلمة التي تحجب عنك الحقيقة، فما قولك إذا كان ما قيل في أبي طالب أكاذيب - وهو كذلك - وأنت تقول بها أمام رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

إذن فتكفير أبي طالب جاء ليضاف إلى ملف الإمام علي عليه السلام في حكومة الأمويين أعداء الإمام علي ومبغضيه، في دائرة أمن الدولة الأموية التي تنسج بكل ما أوتيت من قوة ودهاء لتبرر حكمها للدولة الإسلامية وأنهم هم خلفاء رسول الله ﷺ بالحق، تخيل كيف يستطيع شخص وهو قريب من عهد النبي ﷺ أن يثبت لك أن يزيد بن معاوية خليفة رسول الله ﷺ في حكم الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ على دماء المؤمنين وعويل أراملهم ودموع أيتامهم، ويكون سيد شباب أهل الجنة خارجي يستحق القتل هو وأبناءه وأهل بيته (أهل بيت النبي ﷺ).

وبما أنا ذكرنا الحسين عليه السلام فلا بد لنا من وقفة عنده لنعرف من جهة ما فعلت بنو أمية ولنستذكر الظلامة التي وقعت على ریحانة رسول الله ﷺ من جهة أخرى.

آه لمصائبك يا ریحانة الرسول، آه لمصاب رسول الله فيك، آه للحزن العميق الذي تركوه في نفسك يا أبا عبد الله الحسين، فهل اجتمع من

الأحزان في العالم كله من أول يوم من الخليفة حتى فنائها كما اجتمع على قلبك يا أبا عبد الله.

لن نستطيع ولن يستطيع كل شعراء العالم أن يدركوا أو يصفوا عُشر ما تحمله قلب الحسين عليه السلام من مصائب وآلام، لكن لنحاول أن ندرك من خلال الروايات التي وردتنا جزءاً من هذه المصائب والنوائب ولنعرف من خلال الروايات التي وردت عن رسول الله مقام الحسين عند الله ورسوله لنعرف بعد ذلك حجم الجرم العظيم الذي هز العالم حتى يومنا هذا ونعرف كيف استبيح الدم الطاهر وبأيدي من يسمونهم مسلمون لندرك كيف تزور الحقائق وكيف تهتك حقيقة الدين فيأتي في يومنا هذا من يسمي يزيد الأمير المظلوم، ويأتي من يبجل الدولة الأموية التي سقيت شجرتها من دماء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهي دماء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج البخاري والطبراني والحاكم أنه قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وقال صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا منه» وقال صلى الله عليه وآله: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(١).

كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند أم سلمة وقال لها صلى الله عليه وآله أحفظي علينا الباب إذا كان عنده ملك استأذن ربه أنه يزور النبي صلى الله عليه وآله فأذن له، فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فوثب على رسول الله فجعل يلثمه ويقبله فقال له الملك أتعبه؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم، قال: إن أمتك تقتله ... إلى آخر

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٩١.

الحديث^(١).

وأخرج الترمذي أن أم سلمة رأت النبي ﷺ باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: قتل الحسين.

وأن رسول الله ﷺ وقد أخذ من تراب الأرض التي يقتل بها الحسين من جبريل فأعطاهما النبي لأم سلمة من هذا التراب ووضعه في قارورة حتى إذا قتل الحسين صار دماً، وقد أخرج ابن سعد عن الشعبي قال: (مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض ف قيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه، ثم قال: دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب شماني إياه فلم أملك عيني أن فاضتاً، وفي رواية أخرى قال علي عليه السلام: «ههنا مناخ ركايبهم وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض»^(٢).

إن رسول الله لا يرضى أن يؤذى الحسين بكلمة واحدة تؤذيه أو بموقف يفضبه، وإذا بأناس يصلون ويقرءون القرآن ويشهدون الشهادتين يقتلون الحسين وابناءه وأطفاله ويسبون نساءه إلى الشام بصورة تشمل علي

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٩٢.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٩٣.

أشد أنواع الإهانة والعذاب وأمامهم رأس الحسين مقطوعاً، قد غرسوا به الرمح ورفعوه أمام القافلة مفتخرين بهذا الصنيع.

رأس الحسين حبيب النبي ﷺ يقطع ويرفع على رمح!! كيف!!
وسارت الأمور بهذه البساطة وكأن شيئاً لم يحدث، لقد قالها ﷺ:
«كيف بكم إذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً».

حذار أيها المسلمون لا تنخدعوا بكلام المزيفين وإلا أصبحنا كأولئك الذين رضوا بقتل ريحانة رسول الله وكأن شيئاً لم يحدث وغايتهم الدولة والملك والسلطان.

أخي القارئ، هل رأيت مجرمًا في قفص الاتهام يقول أنا مجرم؟
المجرم دائماً يدعي البراءة ويوكل المحامين لذلك، بكل ما أوتي من قوة
والمحامي ينسج ما يستطيع من أكاذيب، ولكن إن كان القاضي واعياً لا
ينطوي عليه الخداع وإن كان مغفلاً سقط وصدق الكاذبين، والجمهور إن
كان واعياً رفض كلام المدافع وكلام القاضي إن كان خطأ، ولكن إن كان
ساذجاً ومغفلاً انطلت عليه كل الأكاذيب وحماقة القاضي إن صدقه، فهل
نكون كذلك أم نكون أحراراً فطنين، والمؤمن كئيس فطن، (والمؤمن من
يرى بنور الله) ونحن نكرر في صلواتنا الخمس ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

والآن بعد كل ما قرأنا عن حياة أبي طالب هل بقي أدنى شك في

إيمان أبو طالب؟

قد يقول قائل أن الأمر ذهب يميناً وآخر يقول قد ذهب شمالاً وشأنه شأن كل أمر يختلف فيه الناس طبقاً لمشاربهم وإذواقهم. أنواع الاختلاف في الثقافة والدين والإيمان والمنطق والعقل والمصالح .. الخ.

وحتى الإيمان بالله تعالى وبالنبي والرسالة نجد الاختلاف يبدأ ولا ينتهي وتكثر الأقوال والآراء اختلافاً يكون منبعه الجهل والعلم أحياناً والخبث والصفاء أحياناً، والإخلاص والمصالح أحياناً والقرآن يستعرض بعضاً من هذه المشاهد. والتي تكون البديهيّات فيها واضحة ورغم ذلك يكون الاختلاف، فمثلاً مشهد نبي الله إبراهيم، حينما يدعو للتوحيد فيقول إن الله يحيي ويميت فيقول نمرود أنا أحيي وأميت فيقول إبراهيم إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ولكنه لم يؤمن وأصر على كفره وعناده، وفي مشهد آخر عندما يكسر إبراهيم أصنامهم ويدعوهم لسؤال كبير الأصنام فيصرون على الكفر وترتفع الدعوة إلى قتله وإلقائه في النار.

وفي مشهد آخر يقول آخر في سورة (يس) كيف يحيي العظام وهي رميم؟ فيقول سبحانه ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

وفي آية أخرى يسأل الباري سؤالاً استفهامياً عظيماً ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) ولكنه يظل الكافر كما هو وقد يزيد كفره وتأخذه العزة بالاثم كما يشير القرآن ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾^(٢).
 لكن الله يتوعدهم ويتركهم في الدنيا ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا﴾^(٣).

إذن الحقيقة تبقى كما هي ناصعة جليلة لمن أرادها ولمن لا يريد، فهو الخاسر الأكبر ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٤).
 وهكذا كان رسول الله يعاني مع قريش يعرض لهم الهداية فيرمونه بالحجارة والجنون فيدعو لهم (اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون).
 ويحاول معهم حتى الرمح الأخير فيتركونه ودينه، ويستحبون العمى على الهدى ويقتلون في سبيل الضلالة ويذهبون طواعيه إلى الهلاك في بدر وأحد وغيرها، فإذا في كل أمر لابد لصاحب الحقيقة أن يبينها وبعد ذلك إن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٥.

في قضية أبي طالب رضوان الله عليه استعرضنا بعض المشاهد والفصول التي لا تترك مجالاً لأي منصف أن يرى أن أبا طالب لم يكن مسلماً، قد لا تقبل فئة هذا الكلام وهؤلاء نقول لهم: فلندع الروايات التي تقول بكفر أبي طالب والعياذ بالله جانباً لفترة ولنستعرض حياة أبي طالب ودوره وأفعاله وتصرفاته تجاه النبي والرسالة من احتضانه النبي قبل البعثة وتربيته له ومساندته واستماتته في الدفاع عنه بعد البعثة وتضحيته بكل ما يملك وبأبنائه في سبيل الدعوة، وبذل كل حياته في سبيل الرسالة حتى الرmq الأخير عندما مات عليلاً جائعاً تحت حصار قريش في شعب أبي طالب، وحزن الرسول^(١) عليه وتسمية ذلك العام بعام الحزن.

ولعل من يستعرض أشعاره عليه السلام يجدها زاخرة بتمجيد الرسالة وصاحبها الذي كان يقدس تلك الشخصية فهل من الممكن أن يكون هذا الطود العظيم، ممن لم يؤمنوا بتلك الرسالة وذلك الدين الذي طالما ذب عنه بالغالي والنفيس.

أترك تلك الروايات وأجب بصراحة هل يمكن أن نشك في إيمان هذا البطل الفذ؟
قد يقول قائل نعم أنا أشك.

(١) ترى هل أن النبي ﷺ يحزن على كافر لمجرد قرابة أو موقف صدر منه تجاه الرسول ﷺ وهل يُعقل أن يُسمي النبي ﷺ العام الذي مات فيه أبو طالب بعام الحزن؟ حزناً على عمه لمجرد العلاقة النسبية.

لا بأس إذا كان هذا المتكلم صادقاً في اعتقاده، فلنمضي معه في جولة أخرى ولنستعرض آراء الناس بكافة مستوياتهم في أبي طالب عليه السلام. القضية أن هناك من يتهم أبا طالب بالكفر.

وهنا من يتهم أبا طالب بأكبر جريمة في الوجود وهي الكفر ولا شيء أعظم من الكفر ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

دوافع أبي طالب:

وفي أي جريمة يبحث المحققون عن الدافع في الجريمة فإذا توفر الدافع كان احتمال وقوع الجريمة من هذا الشخص أكبر.

وهنا ما هو الدافع لدى أبي طالب لأن يكفر بالله ويؤمن بالأصنام؟
أنني أترك لك أيها القارئ المسلم أن تتوقف عنه القراءة فترة وتفكر معي ما هو الدافع لدى عم النبي وحبيب النبي بأن يكفر بالله ولا يقبل دعوة الرسول.

أرجوك توقف عن القراءة، وفكر بالأمر ملياً.

بالله عليك، أقسم عليك برب العزة، هل هناك دافع واحد، لكفره وهو الذي كان من نور النبوة قاب قوسين أو أدنى وكان ينظر إلى نور رسول الله أكثر من ٤٠ عاماً ورأى المعجزات تلو المعجزات.

ما لكم كيف تحكمون؟

إذا أردنا أن نعرف دوافع الكفر اتجه إلى الجهة الأخرى المواجهة

لرسول الله جبهة الكفار تجد الدوافع الكثيرة إلى هذه الجريمة العظمى، تجد المصلحة المادية المترتبة على عبادة الأصنام، وكما قال أبو سفيان آلهة قريش عبادة وتجارة فإذا ذهبت الأصنام ذهبت التجارة، أو هي السلطة فإذا ذهبت الأصنام ذهبت السلطة والمكانة السياسية والاجتماعية.

أو الحرية في الفسق والفجور ودين يحرم الشهوات دين مرفوض والأصنام خير منه وأصنام تبيح الربا خير من دين يُحرّمه، وإلى آخر هذه الدوافع التي دعت كفار قريش للبقاء على كفرهم، ورفض دين الإله الواحد والقيود.

وبالله عليك هل يفكر أبو طالب في واحد منها؟ وهو الذي كان يبذل ماله وعياله وكل غال ونفيس في سبيل النبي الأكرم وكان يقترض من أخيه ليسقي الحجيج دون مقابل من سلطة أو تجارة.

قد يقول قائل إن أبا طالب كان يخشى أن تقول قريش أنه ترك دين آبائه كما يروون كذباً ألم يخف أن تقول قريش أنه أعان ضد دين آبائه؟.

بالله عليك هل كان أبو طالب يهتم لسفلة قريش من الكفار أو يهتم لرأيهم، أولئك الذين حاربوا رسول الله وحاربوه وطردوهم إلى شعاب الجبال يموتون جوعاً ثلاث أعوام.

أيهتم أبو طالب لهذه الثلة النجسة من كفار قريش وعتاتها وجهالها، وهو الذي خالط الرسول زهاء أربعين عاماً ثم كيف يكون كذلك وهو الرجل العاقل، الحكيم الرشيد والذي يشهد الكل له بسمو شخصيته ورجاحة عقله ومعرفته بالأديان وبدين جده إبراهيم عليه السلام من خلال تراثه

العائلي الرفيع المتصل حتى إبراهيم الخليل عليه السلام.

ثم إذا كان يهمه هذا الكفر اللعين دين قريش وأربابه فلم يقف ضده
ويعين من يحاربه بما له وبأولاده الإمام علي عليه السلام وجعفر الطيار وعقيل.
كيف بالله عليكم كيف؟

أنها تركيبة من المتناقضات لا يمكن أن تجتمع ولا يقبلها ذو عقل
سليم، أبداً؟

نعم، يمكن أن تحدث ويقبلها بطرق غير طبيعية، وبتأويلات معينة
كأن يقول أن أبا طالب كافر لكنه بالمعجزة جاهد مع الرسول ضد الكفار
وحمل النبي ونصر الإسلام. وهذا من سخيף القول

فهذا أقرب للمنطق من الفئة السابقة، وإن كان ذلك مثيراً للاستغراب
والسخرية؟

نعم، حدث وقالها أحدهم في يوم ٢٠٠٨/٣/١٧ بعد صلاة الفجر في
إذاعة دولة الكويت حديث يكتبه الشيخ محمود أحمد محمد.

يقول إن أبا طالب كان حصناً للرسول وعوناً وقد دافع وحمل رسول
الله، ورغم ذلك لم يسلم وكان كافراً؟ كيف ذلك يا محمود يقول أن ذلك
حديث.

وقال: وهذا من الأعجاز الإلهي!!

أن يفيض الله بالإعجاز الإلهي علي شخصاً من الكفار ليدافع عن
رسول الله ويحميه، وهذا دليل على الإعجاز الإلهي انتهى قول الشيخ
محمود.

نعم، هذا يعني أن ذلك الاعتقاد بكفر أبي طالب رغم تاريخه الحافل المشرق لا يمكن أن يتم بالصورة الطبيعية.

ونحن نتفق معه لا يمكن أن يتم فيما أن تاريخه الحافل المشرق بحماية الرسول والدفاع عن دينه كذب وهذا محال لأن كل الطوائف تقرر له بنصرة النبي وبجهاده.

أو أن كفره كذب وظلم وزور، كذب وظلم للنبي وللدين وللمسلمين وللعقل والمنطق، وأما قوله بأن ذلك حدث بالاعجاز الإلهي فالله نصر رسوله بالاعجاز الإلهي يوم أيده بالملائكة تؤيده بمعاركه ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾^(١). وليس بالكفار وإلا لكان الاعجاز طال أبا جهل وطائفته لينصروا رسول الله. وقد فاته إن رسول الله ﷺ دعا ربه (اللهم لا تجعل لكافر علي منة)^(٢).

ماذا سيفعل المستمع إن كان منصفاً؟

قد يقول القارئ لابد من الاستماع للروايات التي جاءت ضد أبي طالب، لا بأس!!

فلنستعرض هذه الروايات حتى لا يترك مجالاً للشك، وأنت أيها القارئ لا تضيع وقتك في هذه المحاكمة فإن كنت تنوي أن تكون منصفاً بعد الاستماع لتحليل الروايات فاستمر في القراءة وإلا فما الفائدة من بقائك

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٣٤.

تقرأ هذا الكتاب؟ كن صادقاً مع نفسك وأعلم إن الذي نتكلم عنه عظيم الشأن عند الله وعند الحبيب المصطفى محمد ﷺ وكن مستعداً أن تحكم بالحق في عم النبي وحبيه ولن ينفعك أحد إن ظلمت النبي بتكفيرك عمه رغم الحجج وما تقول في يوم أنت تحتاج إلى شفاعته يوم الحشر بعد أن تستمع إلى التحليل قل الحق واعتقد به ولا تخبرنا بذلك فلا نريد منك أن تشهد لنا به بل أشهد به لنفسك ولمن يهتك أمره وكن منصفاً مع رسول الله وعمه وأطلب من الله الهداية كي لا تكون ظالماً لأعظم خلق الله محمد ﷺ وأعلم إن إبليس لن يدعك مع نفسك وشأنها، بل هو لك بالمرصاد وهو عدوك وقبل ذلك عدو نبيك محمد ﷺ فحذار منه وما سيقول لك، وأعلم أن وصول هذا الكتاب بيدك هو حجة عليك يوم القيامة وأحذر من أن يغويك إبليس بهذه الكلمات: (إنه أكبر منك من العلماء من لم يعترف بإيمان أبي طالب) (لو كان آمن لعرف ذلك من هم أعلم منك) قل لإبليس قال رسول الله ﷺ أعرف الحق تعرف أهله، فإذا صار الحق عندك جلياً اعرفه وأتبعه تعرف بعد ذلك أهله وقل له: إذا رأيت عالماً يتبع باطلاً فهذا دليل على زيف هذا العالم وليس على أن هذا الباطل حق، وما أكثر أهل النار ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١) فلا تبع آخرتك فهي الباقية لك.

محاولات الدس والطعن الواردة ضد أبو طالب:

إن الروايات التي تكفر أبا طالب - والعياذ بالله - جاءت عن الطرق الآتية:

أولاً: عن طريق أبي هريرة وقد أوردت في مقدمة الكتاب اللامعقولات الواردة عن أبي هريرة وكانت هي مقدمة لهذا الكتاب، وروايته الظالمة هذه التي سنوردها ضد أبي طالب تضاف إلى رصيد اللامعقولات عند أبي هريرة.

فأبو هريرة - كما يعتقد كل منطقي - لا يمكن ان نأمنه على ديننا ونأخذ منه الحديث دون ترو.

فكيف نأخذ حديثاً ممن يقول في علي أبي طالب - لصالح الدولة الأموية - بان يشهد بالله ان علياً أحدث في الدين بعد الرسول حدثاً استوجب بذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؟!

وكما أورد ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي جعفر الأسكافي (ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)^(١).

ونص الرواية السالفة الذكر في ذم علي عليه السلام هي كما يلي:

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣.

قال أبو جعفر الاسكافي في رواية عن الأعمش كما جاء في النهج لابن أبي الحديد:

لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى من كثرة من أستقبله من الناس فجثا على ركبتيه ثم ضرب على صلته مراراً وقال:

يا أهل العراق، أتزعمون أنني اكذب على رسول الله واحرق نفسي بالنار؟

والله إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: انه لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة ما بين غير إلى ثور فمن احدث فيها حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين واشهد بالله ان علياً أحدث فيها.

فلما بلغ معاوية قوله، اجازته واكرمه، وولاه امارة المدينة^(١).

ولمن أراد الاستزادة في معرفة أبي هريرة فعليه بكتاب «أبو هريرة شيخ المضيرة» للشيخ الأزهري (محمود أبو ريه) الذي يكشف هذا الرجل بشكل علمي ومنطقي.

والحديث الذي رواه أبو هريرة عن أبي طالب عند الاحتضار يكشف زيف هذا الحديث وانه أضحوخة فكيف كان يجلس عند رسول الله في احتضار أبي طالب وهي حادثة سبقت دخوله في الإسلام بـ (١٠) سنوات فأبو طالب مات قبل الهجرة في مكة في شعب أبي طالب وأبو هريرة دخل

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٧.

في الإسلام في العام السابع للهجرة فأين المنطق؟!
 لكن بما ان الحديث يبين أبا طالب كافراً فإنه يكون صحيحاً وليكن
 ما يكون!!!

ونص الحديث الوارد ضد أبي طالب عن طريق أبي هريرة هو
 كالآتي:

يقول أبو هريرة قال رسول الله لعنه أبي طالب: قل لا اله إلا الله اشهد
 لك بها يوم القيامة، فأبى أبو طالب وقال: لو لا أن تعيرني قريش... الخ
 الحديث.

وقد مر علينا بعض التحليل حول تاريخ أبي هريرة وشأنه ما يبين لنا
 حقيقة هذا الراوي والتي هي واضحة لكل باحث قد قصد الحقيقة بعيداً
 عن التعصب فهذا الإمام الشيخ محمد عبده وهو علم من أعلام الأزهر
 والعالم الإسلامي يقول: أن أبا هريرة اختلق من الأحاديث ما أَرْضَى معاوية.
 جاء ذلك في كتاب تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده للسيد محمد
 رشيد رضا.

وعن إبراهيم التيمي قال (كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما
 كان ذكر جنة أو نار)^(١).

وعن الأعمش قال «كان إبراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت
 الحديث أتيت فعرضته عليه، فأتيت يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن

(١) سيرة اعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٣٨.

أبي هريرة فقال دعني من أبي هريرة، انهم يتركون كثيراً من حديثه^(١).
 لقد قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وهو يخاطب ربه «عميت
 عين لا تراك» نحن نفهم من هذه العبارة ان وجود الله واضح جلي بأكثر مما
 ينبغي فان شاهداً واحداً من هذه الشواهد الموجودة في خلق الله العظيم
 تكفي لأن يرى الإنسان وجود ربه جلياً، فكيف والشواهد والبراهين لا تعد
 ولا تحصى، فهكذا العين التي لا تشاهد بالبصيرة وجود الخالق لا تستحق
 نعمة البصر بل تستحق العمى.

وكما يقول الحق: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢)
 ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٣).

وهكذا كل الحقائق هي جلية لمن أَرادها وهي مخفية لمن عمى قلبه
 وان كانت امامه وهذا هو الاختبار والبلاء الذي يجازي به الله عباده.
 وهنا في قضيتنا - قضية إيمان أبي طالب الأمر كذلك فإن الحقيقة
 واضحة جلية لمن ارادها لكننا نورد الدليل تلو الدليل ليكون حجة على من
 ينكر الحقيقة، فإذا كان من أمثال المغيرة به شعبه من يتهم أبا طالب بالكفر
 فهو الدليل على نزاهة أبي طالب.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٠.

المغيرة بن شعبه كشخص

ولنتعرف على المغيرة به شعبه كشخص ثاني من الرواة بعد أبي هريرة ونكتفي بذلك من تحليل الرواة حول هذا الموضوع ثم ننتقل إلى فصل آخر فمن هو المغيرة بن شعبه وما هو الحديث الذي رواه؟

١- يقول ابن قتيبة في كتاب المعارف سنة ١٩٧٠ ص ١٢٨، كان المغيرة صاحب قوماً من المشركين، فقتلهم غيلة، واخذ ما معهم هكذا قتل رفاقه قتلهم واخذ بنقودهم ولما خاف من ثأر ذويهم، جاء رسول الله ودخل في الاسلام ليحمي نفسه وجاء بنقودهم لرسول الله ليخمسها فرفضها وقال النبي ﷺ: «لا نأخذ من أموالهم شيئاً لأن هذا غدرأ، والغدر لا خير فيه (جاء في شرح النهج للحديدي).

٢- عبد الرحمن بن عوف يتهم المغيرة بالنفاق والكذب يقول صاحب العقد الفريد: قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف حينما بايع عثمان بالخلافة: يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان، ولو بايعت غيره لما رضيناه فقال له عبد الرحمن: كذبت يا اعور، لو بايعت غيره لبايعته، وقلت هذه المقالة^(١).

٣- الخليفة الثاني يقول للمغيرة أنت الفاجر، قال صاحب العقد الفريد، أن الخليفة الثاني لما شكأ إليه أهالي الكوفة سعد ابن أبي وقاص قال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ أن وليت عليهم التقي ضعفوه، وان وليت

عليهم القوي فجروه فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين التقى الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجورة فقال صدقت، فأنت القوي الفاجر، فولاه الكوفة^(١).

٤- المغيرة يخلق الأحاديث، قال ابن أبي الحديد، أن أبا جعفر الاسكافي قال أن معاوية جعل جعلاً لقوم من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقضي الطعن فيه فاختلقوا ما أرضاه، فهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير^(٢)، وحتى المستشرقين لهم في المغيرة قول:

يقول المستشرق كارل بروكلمان الالماني، في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٢١، ولي معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة وهو رجل انتهازي لا ذمة له ولا ذمام.

وأشد ما يُقرح القلوب ويُدمي الجفون ما كذب به المغيرة بن شعبة على رسول الله ﷺ حينما نسب إليه القول بأن أبا طالب في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار كما جاء في صحيح البخاري أعاذنا الله من هذه السفاسف والترهات.

من هنا يقبل هذا الحديث لو كان منصفاً مع رسول الله ﷺ. القرآن قد حفظه الله من التزوير فهل جاء في حفظ السنة النبوية وعد من الله

(١) العقد الفريد: ج ١، ص ١٦.

(٢) شرح النهج: ج ١ ص ٣٥٨.

بحفظها، إن الوضاعين والكذابين على رسول الله لا حد لهم فقط تحتاج القضية إلى وعي وانصاف ومعرفة بجوهر الحقيقة كي يدرك الانسان الغث من السمين والحق من الباطل.

وما أوردته هنا حول الذين رووا الباطل عن أبي طالب إنما هو نموذج بسيط ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتاب أبو طالب من قريش للكاتب الفذ عبد الله الخنيزي من أعلام مدينة القطيف المباركة.

أبو طالب مؤشريكشف الحقيقة

أن قضية أبي طالب في الواقع هي قضية تكشف لنا حقيقة مفادها إن الحكماء إذا أرادوا أن يثبتوا دعائم حكمهم فإنهم يستخدمون كل شيء في هذا السيل ويقلبون كل الحقائق والمفاهيم حتى وإن كانت ديناً قد هبط من السماء فقد حرفوا الأحاديث وزوروها، وإذ لم يستطيعوا تحريف القرآن فقد عمدوا إلى تحريف تفسيره ومعانيه وها هو معاوية جعل الحكم والخلافة وراثه لبني امية وعلى الأمة أن تطيع وتقبل وحيث أن معاوية صحابي، فيجب أن يعتقد الجميع بعدالة الصحابة مهما كانوا ويضع لهم حصانة دينية مهما فعلوا ومهما قتلوا ومهما بدلوا وعلينا نحن المسلمين أن نكون همجاً نتبع كل ناعق وفي حديث: «يُجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربي اصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾»، فيقال، ان هؤلاء لم يزلوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم»^(١)، وكأن القرآن لم ينبهنا وينذرنا: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢).

(١) البخاري: ج ٦، ص ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

وفي آية أخرى يخاطب الله النبي عن فئة منافقة لم يعرفها النبي وكشفت قناعها بعد موت الرسول، إذ يقول الله لنبيه ﴿لا تعرفهم نحن نعرفهم﴾، وغيرها وغيرها من الآيات تنهانا ان نكون إمعات مغفلين فالمؤمن كيس فطن والمؤمن يرى بنور الله لا تنطلي عليه الحيل.

فقضية أبي طالب هي أحد المقاييس التي يستطيع الإنسان المسلم ان يقيس بها نفسه!! وغيره.

بعد كل ما قرأت هل تقبل أن أبا طالب كافر وفي النار، وان أبا سفيان وابنه معاوية وحفيده المدلل يزيد يرتعون في الجنة؟!!

قد يقول قائل لقد اشتبهت علي الأمور ولا أستطيع التمييز مع هذا اللغظ الكبير، حسناً، فلنحاول أن نجد نبزاً ساطعاً ينير الظلمة ولنبحث عن ركن وثيق لا يختلف عليها اثنان وقد أجمعت عليها الأمة والتفت حولها حتى نصل إلى مشتركات يقبلها الجميع للوصول للحق!

ما رأيك أيها القارئ ان نأخذ رأي أهل بيت النبي في هذا الموضوع؟
موضوع إسلام أبي طالب!!

هذا ونرى رأي اتباع أهل البيت؟

هل تقبل أيها القارئ رأي أهل بيت النبي واتباعهم في أبي طالب؟
إذا كنت تقبل رأيهم فهذا جيد وستراه لاحقاً.

أما إذا كنت لا تقبله، فتعال تناقش هذا الرفض ولنرى هل هو مبرر؟
أم غير مبرر؟ وغايتنا وإياك هو طريق النجاة ان شاء الله.

ان شيعة أهل البيت قد اختاروا طريقاً واضحاً قد أشار إليه النبي ﷺ

وهو طريق أهل البيت الذي لا يقبل الخطأ وقد استقرت نفوسهم واطمأنت في كل قضية ورد فيها الاختلاف ولا يحтарون بعد ذلك، وفي الوقت ذاته نجد الكثير ممن يهاجم الشيعة اتباع آل البيت هجوماً شرساً ويتهمهم بالضلال والبعض من المغالين يتهمهم بالكفر حتى يصل الأمر من بعض أهل التعصب الأعمى إلى رميهم بالكفر والزندقة، ولا بد لنا هنا من وقفة نقيم فيها هذا الوضع فهناك شيعة آل البيت وهناك من يتهمهم بالخطأ والشيعة يردون عليها بأنهم يتبعون الطريق السليم وسواه خطأ.

١- فماذا تقول الشيعة؟

٢- وماذا يأخذ عليهم الطرف الآخر من اشكالات وشبهات؟

٣- وما هو الرد على هذا الاشكالات والشبهات؟

لنحاول ان نوضح الصورة ضمن هذه المحاور الثلاث علنا نصل إلى تصور ينفعنا في التماس طريق الحق وبالتحديد ما قيل في أبي طالب ودفع الظلم الذي وقع عليه، اضافة إلى كل ما تختلف فيه الأمة المسلمة.

منهج اتباع أهل البيت عليهم السلام

قبل البدء لابد من كلمة!

إذا كنت أيها القارئ ليس من اتباع أهل البيت فينبغي لك أن لا تطلق الأحكام الجزائية قبل ان تقرأ ما سيتقدم صفً نفسك حتى تستطيع أن تتجرد من كل عصبية وتكون نفسك مستعدة لقبول الحق أيًا كان وأينما يكون وتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾
فقد يكون الحق هو ما كنت تعتقده باطلاً وقد يكون باطلاً ما كنت
تعتقده حقاً.

رجاءاً توقف عن القراءة برهة وفكر وتأمل ما قلته ثم عد للقراءة
ثانية!

ماذا تقول الشيعة؟

إذا سألت أي أحد من المسلمين هذا السؤال هل ضمن الله حفظ
القرآن؟

فسوف يكون الجواب نعم من كل المسلمين شيعة وسنة بدليل الآية
الكريمة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).
والكل يعرف أن القرآن يحتاج لتفسير ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ﴾^(٢)، «والكل يعرف أن النبي قال اني تارك فيكم الثقلين ما ان
تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ»^(٣).

أي ان الذي يتمسك بالقرآن وهو الثقل الأول فقط سيكون من
الضالين!؟

(١) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٦.

ولا أحد يختلف معي في ذلك بنص الحديث إذ قال ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أي لو تمسكتم بثقل واحد وتركتم الآخر فسوف تضلون، والشرط الوحيد هو التمسك بالاثنين «ما ان تمسكتم بهما»، فنحن محتاجون للثقل الثاني كي نعرف ماذا يقول القرآن وما هو تفسيره!!

وتكملة الحديث عن الثقلين هو ورد بصيغتين واحدة تقول كتاب الله وسنتي ورواية أخرى تقول كتاب الله وعترتي أهل بيتي، هاتان الروايتان وردتا عند أهل السنة، الرواية الأولى «سنتي وردت مرة واحدة» أو عن طريق واحد وبحديث مبتور السند وأما كتاب الله وعترتي، فقد وردت بأحد عشر طريقاً، وهو المتواتر والصحيح.

أما الشيعة فان الرواية الصحيحة عندهم «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فلنسلم جدلاً بان الرواية الصحيحة هي كتاب الله وسنتي، جميل! وهنا أسأل سؤالاً آخر! هل ورد بيان شرعي على حفظ السنة كما ورد في القرآن ضمان حفظ الذكر «القرآن» لا أحد يستطيع ان يقول ان الله أو النبي قد ضمن حفظ السنة!

فما الفائدة من التمسك بالقرآن الذي هو مضمون الحفظ مع السنة التي هي غير مضمونة الحفظ؟ والمسلمون كلهم يشاهدون كماً من الأحاديث المكذوبة على رسول الله والضعيفة والموضوعة ما يملأ المجلدات والمكتبات فأين هذا الضمان والأمان من الضلال إذا تمسكنا في سنة لا نعرف الصحيح منها وحتى على مستوى الصحاح إلى الآن تسمع عن دعوات تطالب بتنقيحها وحذف بعض الأحاديث منها بحجة ضعفها بينما

السبب هو انها لا تناسب كثيراً من المسلمين وتتعارض مع نهجهم - وقد يحذف الصحيح ويترك الضعيف - فيزداد الطين بله ونركس اكثر فأكثر. إذن فأين الضمان للنجاة من الضلال؟ «ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي ابداً».

والجواب واضح كالشمس في رابعة النهار ولا يحتاج حتى إلى البحث الروائي في صحة الرواية التي تذكر أن الثقل الثاني هو أهل البيت لأن القرآن المحفوظ يحتاج إلى أناس ثقات والسنة تحتاج إلى أناس ثقات ليحملوها لنا ناصعة، وها هو القرآن يشير لنا بوضوح ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)، ويشير إلى الراسخون في العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ وهنا تكتمل المعادلة بوضوح الله جل وعلا يضمن لنا حفظ القرآن وهو كذلك ويضمن لنا طهارة أهل البيت من كل رجس وذنس «ويطهركم تطهيراً» بكل تأكيد والنبى يقول كتاب الله وعترتي أهل بيتي فهذا هو الحق الواضح لمن أراده ولمن أراد البحث الروائي في صحة رواية أهل بيتي فالأمر بسيط، فالحق واضح ابلج وهو اتباع أهل البيت لأنهم هم من يستطيع ان يفسر القرآن وعلى رأسهم سيدهم بعد رسول الله الإمام علي عليه السلام إذ ان رسول الله ﷺ قال: «انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^(٢) والقرآن

(١) سورة الاحزاب: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٨٧.

كتاب ذو وجوه وبطون لا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم كما جاء ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ كما جاء في الآية، وهذه إشارة وهذه إشارة من الله لنا كي لا نأخذ تأويله إلا من الراسخين وهل هناك راسخ في العلم مثل باب مدينة علم الرسول علي بن أبي طالب والشيعة إنما يتبعون آل البيت بعد رسول الله سمعاً وطاعة لما أمر به الله عز وجل ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) والنبى ﷺ امرنا باتباع آل البيت الأطهار طلباً للنجاة والخلاص من الضلال «لن تضلوا» بعدي ابداً.

وهل يكره أحد ان يضمن عدم الضلال والاستقامة!!

هذا ما عملته الشيعة وباختصار اتباع آل البيت المحمدي بعد الرسول بوصية منه ﷺ.

بقي ان نقول من هم آل البيت بالتحديد وبالأسماء حتى نضمن ان لا نتبع غيرهم على أساس انهم هم آل البيت وهم ليسوا كذلك!!؟
لا يختلف اثنان من اتباع أهل البيت في ان المقصود بهم علي وفاطمة والحسن والحسين وأبناء الحسين لكن أجد لزاماً علينا ان ننقل ما يقول أهل السنة والجماعة، وقد اخترت واحداً من اشد المعادين لشيعة أهل البيت وهو ابن حجر الهيتمي وكتابه الصواعق المحرقة فماذا يقول ابن حجر في صواقه في من المقصود بأهل البيت.

يقول ابن حجر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

يقول ابن حجر أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين^(٢).

ويقول ابن حجر «أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمس (النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين) وأخرجه ابن جرير عن الرسول قال: نزلت هذه الآية في خمس في علي والحسن والحسين وفاطمة، وأخرجه الطبراني أيضاً ومسلم أنه ﷺ ادخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية، وصح أنه ﷺ جعل على هؤلاء كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي - أي خاصتي - اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وأنا معهم قال انك على خير، وفي رواية أنه قال بعد تطهيراً أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم، وفي رواية أخرى أنه وضع يده عليهم في ص ١٤٥، وفي رواية أنه قال ﷺ ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، وفي رواية أخرى قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي». فأقامهم مقام نفسه ومن ثم صح أنه ﷺ قال: أني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص ١٤٣، مكتب القاهرة، ط ٢.

واخرج الترمذي والنسائي عن الجابر، وكنز العمال ص ٤٤، ج ١.
قال ﷺ «أيها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا:
كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

واخرج الترمذي عن زيد بن ارقم وهو الحديث ٨٧٤ عن كنز العمال
ج ١، ص ٤٤.

قال ﷺ «اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب
الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى
يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

ولمزيد من الالتفات إلى ما قد فات كثيراً من المسلمين مما اراده
رسول الله لهم اذكر حادثة بين قوسين ثم نرجع إلى اصل بحثنا في أهل
البيت وهذه الحادثة خطيرة جداً على المسلمين ورسالتهم ومسيرتهم بحيث
يمكن ان تحدد مصيرهم إلى يوم القيامة وهذه الاهمية ليست من تحليلي
أو تعليقي بل هذه الخطورة والاهمية من رسول الله وهي كما جاءت:

ان رسول الله ﷺ عندما حضرته الوفاة قال لمن حوله «أئتوني بدواة
وكتف اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً» فماذا حصل حينها؟!

اخى المسلم افترض انك كنت جالساً عند رسول الله ﷺ روعي
وارواح العالمين له الفداء، ورأيت رسول الله في آخر ساعاته من الدنيا
ويطلب منك طلباً أظنك سوف تقول قبل ان اكمل سؤالي لو طلب روعي
لقدمتها بين يديه مسروراً مفتخراً وهذا حال كل مسلم محب للمصطفى فما
بالك لو كان طلبه شيئاً يكتب به وصية تحمي الأمة الإسلامية من الانحراف

إلى يوم القيامة!

أرجوك أخي المسلم القارئ كن منصفاً حتى النهاية ماذا حدث
عندما طلب رسول الله طلبه؟

أخرج مسلم من آخر كتاب الوصية من صحيحة واحمد من حديث
ابن عباس ج ١، ص ٢٢٢، ورواه سائر المحدثين وأخرجه مسلم في كتاب
الوصية من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس قال:
يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دمعة حتى رؤيت على
خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ أئتوني بالكتف والدواة، أو
اللوح والدواة، اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا، ان رسول الله
يهجر وفي رواية أخرى يكمل ابن عباس: فاختلف أهل البيت - أي الذين
كانو في البيت آنذاك - فاختلفوا منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي
كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر - أي يقول - هجر رسول
الله.

وفي رواية أخرى للبخاري قد خفت كلمة ان النبي يهجر إلى (ان
النبي قد غلب عليه الوجع) إذ يروي في الجزء الرابع في صحيحة في باب
قول المريض قوموا عني.

عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم
عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال
عمر ان النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،
فاختلف أهل البيت فاختلفوا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً

لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله ﷺ: قوموا (وهذه اول مرة يطرد فيها النبي انساناً عنده) فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

اخى القارئ قف عند هذه الحادثة وتأمل اموراً عدة عليها تفيدك ففي رواية ان (تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة) قد يكون السبب ان التفكير ساعة قد يرشدك إلى الصواب أما العبادة قد تكون سبعين سنة على نهج خاطئ وبلا فائدة.

هذه الرزية رزية يوم الخميس كما يسميها ابن عباس منعطف خطير في حياة أي مسلم، تأملها واعتبر ولا تدع أي شخص يبررها لك مهما كان علمه ومكانته، كيف لمسلم ان لا يمثل لامر رسول الله ﷺ وليتهم اكتفوا بعدم الامتثال بل ردوا عليه إذ قالوا حسبنا كتاب الله وكأنهم اعلم من رسول الله بكتاب الله وليتهم اكتفوا ولن يتجرؤا على النبي بهذه الكلمة الجارحة (هجر رسول الله) وهو يحتضر بينهم وأين هم من كتاب الله حين يقول ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

وقوله ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة التكوين: ١٩-٢٢.

كَرِيمٌ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١) ، وقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ^(٢) 》.

لكنهم علموا ان ما أراد ان يكتبه هو تفصيل لما كان يحدث به إذ كان يقول ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً، ويتضح ذلك من خلال ضمان عدم الضلال في الحديث (لن تضلوا) في حديث الثقلين وحديث طلب الدواة واللوح لكتاب ضمان عدم الضلال فيا للجرأة على رسول الله ﷺ ولو اصر النبي اكثر على ان يكتب لكانت الجرأة اكثر ولربما طعن في كثير من كلام النبي ولن افصل اكثر وسأترك لك انت القارئ ان تفكر وتستنتج!

فقط ضع نفسك واحداً من الذين كانوا عند النبي ﷺ وجاءك الأمر من النبي ماذا كنت سترد؟ توقف عن القراءة وفكر بقدر ما تستطيع، ضع الكتاب من يدك وعش مع الحديث والحدث وابحث وتأكد من صحة الحديث ان اردت وكن حراً لك رأيك وقرارك الذي على اساسه تحاسب يوم القيامة وعلى اساسه تجيب رسول الله هو شفيحك لو سألك ماذا كان رأيك في ظلامتي وما هو موقفك؟

(١) سورة الحاقة: ٤٠-٤٣.

(٢) سورة النجم: ٢-٤.

تذكر انك بحاجة لشفاعته الكريمة وتذكر انه كان في حال الاحتضار وتذكر انه قال ما اودى نبي بمثل ما اوديت وتذكر قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١).

إياك أخي المسلم ان تمر على هذه الرزية مرور الكرام، ادرك الحدث واستوعبه وستعرف حينها كم من الحقائق قد زيفها التاريخ وانطلت على الكثير من المسلمين اكرر ذلك لو كنت صادقاً مع نفسك ستلمس الحقيقة عندما تأخذ الحقائق فقط وتحللها بنفسك ولا تأخذ تفسيراً وتبريراً وتأويلاً من الآخرين عندها سوف ترى نور الحقيقة.

نتوقف هنا ونعود إلى موضوعنا وقبل ان نغادر هذه الفقرة اتساءل واقول لمن اعترض على النبي وقال انه يهجر وحسبنا كتاب الله، اقول هل يحق لأحد في الدنيا ان يمنع عن رسول الله طلبه؟ كائنا من كان؟ وهل لأحد ان يجيب بغير النفي؟

لنعود لبحثنا وهو ما أوصى به النبي ﷺ اتباع آل بيته لضمان عدم الضلالة ولنستعرض بعض الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى بما لا يدع مجالاً لأدنى شك في هذا المعنى.

قال رسول الله ﷺ «إن مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» الحاكم في المستدرک.

وقد عرض القرآن الكريم قصة سفينة نوح وكيف انها هي السبيل الوحيد للنجاة آنذاك وكيف ان ابنه أراد النجاة بطريق آخر ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، فقال له نوح ﷺ ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(١).

أن الطريق واحد وان أي طريق آخر نتيجة الغرق والهلاك، فنحن في هذه الدنيا في بحر عميق نتيجة الهلاك، انظر يمنة ويسرة تراها مليئة بالفسق والضلال من كل جانب دعوات مشبوهة من جميع الأصناف والجهات ولكن النجاة في طريق واحد وهو سفينة أهل البيت من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ولا عذر بعد ذلك للهالكين فقد بح صوت رسول الله من أول يوم في الدعوة من الإشارة إلى وصيه علي حتى آخر ساعة من حياته، انظر اخي المسلم، هل تستطيع أن تكمل صلاتك من غير ذكر أهل البيت الطاهرين، ما معنى ذلك؟ اجب أنت. ما معنى أن ينهانا الرسول أن نصلي عليه الصلاة البتراء، قالوا وما الصلاة البتراء قال ﷺ أن تصلوا علي وتنسوا آلي، يذكر هذا الحديث ابن حجر، ويا للعجب فإنه في نفس الصفحة يصلي على النبي ﷺ صلاة بتراء!!

وبشكل مختصر نجد أن رسول الله قد أشار إلى ضرورة اتباع أهل بيته من بعده وقد أشار إلى أولهم وهو علي بن أبي طالب عندما عينه في غدير خم وقال ألسن أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال من كنت مولاه فهذا

علي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله^(١)، وقال رسول الله ﷺ في حديث بين أن الأئمة الهداة من بعده اثنا عشر كلهم من قريش وهم بالترتيب الآتي:

- ١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
 - ٢- الإمام الحسن بن علي عليه السلام.
 - ٣- الإمام الحسين بن علي عليه السلام.
 - ٤- الإمام زين العابدين علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، وبعده ابنه.
 - ٥- الإمام محمد الباقر عليه السلام، المدفون بالبقيع بالمدينة وبعده ابنه.
 - ٦- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المدفون بالبقيع وبعده ابنه.
 - ٧- الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، المدفون في بغداد وبعده ابنه.
 - ٨- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المدفون في خراسان وبعده ابنه.
 - ٩- الإمام محمد الجواد عليه السلام، المدفون في بغداد وبعده ابنه.
 - ١٠- الإمام علي الهادي عليه السلام، المدفون في سامراء وبعده ابنه.
 - ١١- الإمام الحسن العسكري عليه السلام، المدفون في سامراء وبعده ابنه.
 - ١٢- الإمام محمد المهدي عليه السلام، وهو الإمام الغائب المنتظر الذي بشر به رسول الله وبيظهوره تملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً.
- وقد أشار ابن حجر الهيتمي في صواعقه إلى أسماء الأئمة الأثنى عشر وقد أورد حديثاً عن النبي ﷺ انه يهدي سلامه إلى الإمام محمد

(١) راجع كتاب الغدير أن أردت الاستزادة.

الباقر ابن زين العابدين حفيد الحسين حين قال له الصحابي الجليل جابر الأنصاري وهو صغير: «رسول الله يهديك السلام فقل له - أي لجابر - وكيف ذاك قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال النبي يا جابر يولد له مولوداً اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيتقدم، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام^(١)، وذكر فضله بعد ذكر فضل علي والحسن والحسين وزين العابدين ثم محمد الباقر وهكذا جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا ثم علي الهادي وسماه العسكري ثم الحسن العسكري وسماه الخالص، ثم ذكر انه لم يخلف غير ولد واحد اسمه محمد غاب وهو ابن خمس سنين وقال مفترياً على الشيعة أن الرافضة تقول انه المهدي المنتظر جاء ذلك حتى ص ٢٠٨ من الصواعق الذي شهد بالحق بفضلهم وليراجع من أراد التفصيل وورد أيضاً أسماء الأئمة الأثني عشر في بعض كتب السنة.

فقد جاء في فرائد السبطين للحموي المصري ج ٢ ص ١٢٣ مثل ما جاء في ينابيع القندوزي ج ٣ ص ٢٨٢: عن مجاهد بن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يُقال له نعثل فقال يا محمد إني أسألك عن أشياء، إلى أن قال فاخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي وان نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون فقال نعم أن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين

(١) الصواعق المحرقة، ص ٢٠١.

يتلوها تسعة من صلب الحسين أئمة ابرار قال يا محمد سمهم لي قال ﷺ
 نعم اذا مضى الحسين فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى
 محمد فابنه جعفر فابنه موسى فاذا مضى موسى فابنه علي فاذا مضى علي
 فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه علي ثم ابنه الحسن ثم الحجة ابن الحسن
 أئمة عدد نقباء بني إسرائيل فهذه اثنا عشر وأورد مثل ذلك الكثير نعد منهم
 على سبيل المثال لا الحصر - العلامة محمد الحنفي الترمذي في كتاب
 المناقب الرضوية ص ١٢٧- صاحب المحجة على ما في ينابيع المودة ص
 ٤٢٧ درر السمطين للحمويني.

ولمن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع في أحقية مذهب أهل
 البيت فعليه مراجعة الكتب المتخصصة في ذلك وفضلها كتاب المراجعات
 للعلامة السيد الحسين شرف الدين والذي يملأ مكاتب العالم اجمع وهو
 كتاب حوار بين السيد عبد الحسين شرف الدين وبين عالم الازهر في
 زمانه الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر.

ولكن لابد من الإشارة إلى بعض مصادر ورود الخلفاء الاثني عشر
 في كتب السنة وفي صحاحهم وبشكل متواتر لا يقبل الشك:

- ١- اخرج البخاري واحمد والبيهقي بسندهم عن جابر بن سمرة قال
 سمعت رسول ﷺ يقول يكون اثني عشر أميراً كلهم من قريش^(١).
- ٢- اخرج مسلم عن جابر بن سمرة سمعت النبي ﷺ يقول « ان هذا

(١) البخاري في كتاب الأحكام، باب ٥١، ج ٤، ص ٣٧٥.

الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(١)، وفي بعض الروايات كلهم من بني هاشم.

- واخرج احمد عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش^(٢).

- واخرج احمد والحاكم قال النبي ﷺ: لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة^(٣).

اكتفي بهذا القدر من تبيان أحقية مذهب الشيعة أي مذهب أهل البيت حتى أستطيع أن أورد ما أوردوه بخصوص أبي طالب وبقي أن نرد بعض الشبهات حول مذهب أهل البيت وشيعتهم من قبل مخالفهم وبعد ذلك سنكمل حديثنا عن أبي طالب عليه السلام.

فالشبهات التي وردت ضد شيعة أهل البيت من مخالفهم هي بشكل مختصر كالآتي:

١- الصلاة على التربة والجميع من الصلوات.

٢- الأذان.

٣- زواج المتعة.

٤- المأتم الحسينية.

(١) كتاب الأمانة: ج ٣، ص ١٤٥٢.

(٢) سنن ابن داود: ج ٤، ص ٤٨٦، كتاب المهدي.

(٣) المستدرک: ج ٣، ص ٦١٨.

٥- زيارة القبور والتبرك بها، وطلب الشفاعة من أولياء الله موضوع الشرك والتسمية بعبد الرسول أو عبد الحسين.

وهنا سوف أمر مرور الكرام على هذه الشبهات والرد عليها؛ لأنها ليست في إطار بحثنا ولمن أراد الاستزادة فيستطيع مراجعة الكتب المختصة بهذه المواضيع.

قبل الشروع في الشرح أؤكد نقطة ان هذه الأمور الفقهية عند الشيعة قد أخذت من أئمة أهل البيت الذين أوصى بهم النبي ﷺ ولم يأخذوها كغيرهم من أئمة مذاهب ولدوا بعد أكثر من ١٥٠ سنة بعد وفات النبي ﷺ ولم يوص النبي بالتعبد على مذهبهم فقد ولد الأشعري سنة ٢٧٠ هـ ومات سنة ٣٣٠، وابن حنبل ولد سنة ١٦٤، ومات سنة ٢٤١، والشافعي ولد سنة ١٥٠، ومات سنة ٢٠٤، وولد مالك سنة ٩٥، ومات سنة ١٧٩، وولد أبو حنيفة سنة ٨٠ ومات سنة ١٥٠.

فأئمة أهل البيت هم العدل الثاني للقرآن وهم سفن النجاة وهم الطاهرون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكانوا داخل البيت النبوي.

١- السجود على التربة والجمع بين الصلاتين: الشيعة لا يجوزون السجود إلا على الأرض الطبيعية مثل التراب أو الحجارة أو القش أو العشب مثلما كان يعمل رسول الله ﷺ فلا يجوز السجود على ما يؤكل أو ما يلبس والسجاد والأنسجة، بل يتحقق تمام الخضوع لله بالسجود له وجباها على أرخص شيء وهو التراب حتى أن بعض الصحابة كان يتأذى

من حرارة الأرض فكان يبرد بعض الحصى بيديه ثم يسجد عليه إذ قال رسول الله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»^(١). وكان لدى رسول الله قطعة من الطين والقش يسجد عليها أحياناً يسميها الخثرة.

فكما لا يجوز التيمم على غير الأرض كذلك لا يجوز السجود على غير الأرض كما كان فعل رسول الله في المساجد آنذاك حيث التراب وليس السجاد والفرش وغيره.

وأما الجمع بين الظهر والعصر وكذا الجمع بين المغرب والعشاء فقد ثبت لدى الشيعة والسنة بأن رسول الله قد جمع بين الصلاتين من غير مطر أو خوف أو سفر أي بدون أي عذر^(٢).

فهذا عمل مباح ولا يحق لاحد ان يحرمه كيف يشاء فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

٢- الشهادة الثالثة في الأذان وهي اشهد ان علياً ولي الله لو قدمنا كل الأسباب والأدلة في الوجود لذكر الشيعة في آذانهم الشهادة الثالثة بان علياً ولياً الله فلن يقبل المخالف وسيقول هذه بدعة في الدين فسأريح نفسي وأقول كيف تكون هذه بدعة في الدين ولا تكون إضافة عبارة «الصلاة خير من النوم في صلاة الفجر من قبل الخليفة الثاني بدعة».

(١) البخاري: ج ١، ص ١٢٨، كتاب التيمم وفي مسلم كتاب المساجد.

(٢) صحيح مسلم: ج ٢، ص ١٥١، واحمد: ج ١، ص ٢٢٣، والترمذي والنسائي

واختصاراً للموضوع نكتفي بالنسبة لهذه النقطة.

٣- الزواج المؤقت (زواج المتعة)، كل الروايات والأحاديث ثبتت ان هذا الزواج كان على زمن رسول الله وقال عثمان كان هذا الزواج على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وحرمة عمر بن الخطاب بقوله: متعتان كانتا حلالاً على عهد رسول الله وأنا احرمهما وأعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء، ومرة قال لي أحد الأشخاص السنة مازحاً ما الدليل على حلية المتعة فأجبت مازحاً أيضاً بان الدليل ان عمر قد حرمها وانتهى الموضوع. ولكن من يريد ان يجادل بقول (من يقبل ان ابنته أو اخته ان تتزوج بشكل مؤقت (المتعة؟) والجواب: ان الله قد رضي شيئاً كريهاً بغيضاً وهو الطلاق ابغض الحلال عند الله الطلاق فاذا كان قد احل شيئاً يبغضه ولم يصبح حراماً لأن الله يبغضه فهل يصبح الزواج المؤقت حراماً لان فلاناً يكرهه لابنته أو لأخته.

مَنْ مِنَ الناس يرضى بأن تطلق ابنته مرة أو مرتين أو ثلاث؟ لا أحد يرضى بذلك ولكن هذا يحدث وحلال وكذلك لا أحد يرضى ان تتزوج اخته أو ابنته زواجاً مؤقتاً، وهذا لا يجعله حراماً وسبحان الله ها هو الزواج المسيار قد طرق أبواب المجتمع السني بكل قوة وفتحت له الأبواب على مصراعيها وهو زواج مؤقت بحلة جديد وهو التفاف على الموضوع ولا أحد يرضى لأخته زواج المسيار لا أحد يقول ان زواج المتعة أو زواج المسيار أو الطلاق أشياء مرغوبة أو مرضية لكنها أمور بمثابة الدواء المر لبعض أمراض المجتمع وهذا شرع الله (وويل لمن يحرم أو يحلل على هواه ورأيه).

فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.
وبالمناسبة اذكر هنا أمراً في الطلاق يكشف لنا عظمة فقه أهل البيت
ففي فقه أهل البيت لا يتم الطلاق إلا بحضور شاهدين عدلين إضافة إلى
كون المرأة على طهر ولم تجنب بعده وهذا من الأمور التي لو طبقها السنة
لقلت نسبة الطلاق إلى أدنى المستويات مما هو عليه؛ لأن كثير من الطلاق
يحدث في ساعات الغضب وتطبيق شروطه بإحضار الشاهدين العدلين
تكون فورة الغضب قد هدأت وتغيرت الآراء هذا مثال واحد يثبت كيف
أن أهل البيت هم سفن النجاة من ركبها نجا ومن تركها غرق.

٤- المأتم الحسيني من بكاء مستمر على الحسين ولبس السواد
وضرب الصدور بالأيادي، والرؤوس بالسيوف... الخ

بالنسبة للبكاء فسأذكر باختصار شديد جداً كيف كان رسول الله ﷺ
يتعامل مع البكاء، إن البكاء على شخص إنما يعبر عن حب ذلك الشخص
وكلما كان حبك لشخص شديداً كان بكائك عليه أكثر، ألم يتأثر رسول
الله ﷺ عندما لم يجد من يبكي على عمه حمزة بشكل يتناسب مع قدرة
ومنزلته؟ وحينها قال وأما حمزة فلا بواكي له، فاستجاب المسلمون لنداء
النبي ونصبوا له مأتم سيكون فيه على حمزة ويندبون.

- وكذلك بكى رسول الله على قبر امه وابكى من حوله.

كذلك نجد أن رسول الله في اجتماع مع أهل بيته واخذوا يبكون على
الإمام الحسين بعد أن أخبره جبرئيل عليه السلام بما يجري على الحسين عليه السلام فنحن
الشيعة نحب الحسين حباً لا نظير له وهو حب لله ورسوله، وبطلب من الله

ورسوله حينما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

فلو مات صديق لك وعزيز عليك، فانك قد تبكيه اياماً، ولو كان اعز، فستبكيه شهوراً ولو كان ابناً لك فستبكيه ربما سنين ولو مات مقتولاً ومظلوماً وامام عينيك فسيطول حزنك اكثر ولربما العمر كله ونحن الشيعة حبنا للحسين شديد لا يكفينا ان نبكيه العمر كله وخصوصاً بالطريقة التي قتل بها فقد لا تجد في كل التاريخ من قتل وظلم في قتله وعياله ونسائه كما جرى للحسين عليه السلام وكلما سمعنا بما جرى عليه زادت حسرتنا واشتد بكاؤنا وهو كما أسلفت حب وتعير عن حبنا له ولجده رسول الله ولو قرأت في كتب السنة ما جرى في الكون لعلمت ان الأمر ليس طبيعياً ابداً، اقرأ ما جاء في الصواعق لابن حجر وهو متعصب ضد الشيعة فستقرأ العجب، كيف ان السماء أمطرت دماً في يوم قتل الإمام الحسين عليه السلام ألم تقرأ أن رسول الله أعطى تربة في قارورة لأُم سلمة بها تربة من كربلاء اخبرها عن جبرئيل عن الله أنها ستصير حمراء يوم قتل الحسين ألا يخبرك هذا الحديث القدسي عن عظم هذا الأمر ثم ان إحياء ذكرى قتل الحسين إنما هو إحياء لأمر الجهاد ضد الظالمين.

أما قضية ضرب الرؤوس بالسيوف وإخراج الدم فهي قضية تختلف فيها العلماء فمنهم من يقول إنما هو إظهار للموقف بشكل طبيعي على

شكل مشهد درامي مؤثر يعطي للمناسبة حرارة وبعداً حقيقياً بشرط ان لا يؤذي الشخص نفسه بضرر بالغ وعندنا في الإسلام الحجامة مستحبة وهي اخراج الدم من الجسد، ومنهم من يقول بغير ذلك ان هذا الأمر ليس ركناً من المذهب الشيعي وإنما هي اجتهادات لا تمس اساس الدين كما توجد في كل مذهب طقوس معينة يتركها البعض ويحببها البعض الآخر داخل المذهب الواحد مثل حلقات الذكر المنتشرة في مصر والمغرب العربي.

قضية المهدي المنتظر ﷺ

أن الذين يعيرون على الشيعة ويستهزؤون بقضية المهدي المنتظر عليه السلام إنما يستهزؤون برسول الله ﷺ والعياذ بالله لان المهدي جاء ذكره على لسان الرسول ﷺ وفي الصحاح الستة في البخاري ومسلم وابن ماجة وابي داوود والنسائي، واحمد وفي مستدرک الصحيحين ومجمع الزوائد ومسند الشافعي وسنن البيهقي ومسند أبي حنيفة وكنز العمال ... وغيرها كثير وفي كتب التاريخ تجد ذكر المهدي على لسان النبي في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ المسعودي وتاريخ السيوطي وتاريخ ابن خلدون... وغيرها.

وهو على لسان كل المسلمين علماء وافراداً على سبيل المثال لا الحصر وفي عجالة شديدة كي لا نخرج عن الموضوع إلى موضوع آخر وإنما هو للضرورة.

عن أبي أيوب الانصاري في بنایع المودة للقندوزي قال: قال رسول

الله لفاطمة رضي الله عنها: منا خير الأنبياء وهو أبوك ومنا خير الأوصياء هو بعلك ومنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك ومنا المهدي وهو من ولدك.

وفي مسند احمد بن حنبل، قال رسول الله ﷺ: تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً يملؤ الأرض قسطاً وعدلاً.

الحافظ السيوطي الشافعي، عن النبي ﷺ: المهدي رجل من ولدي وجهة كالكوكب الدري مسند احمد بن حنبل (امام الحنابلة)، عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يملؤ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً.

زيارة قبور النبي والأئمة والأولياء

والتوسل بهم إلى الله والتبرك بهم

أن في عقيدة الشيعة وكثير من السنة أن النبي وائمة أهل البيت وان ماتوا في الظاهر فهم ليسوا كذلك وهذا القرآن يصرح ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، وفي آية أخرى ولكن لا تشعرون، وهذه منزلة لهم ومنزلة النبي لا شك اعظم منزلة في الكون فكيف نحسبه ميتاً لا يشعر، نحن اذا كان جزء من المسلمون لا يريدون ان يؤمنوا بالغيب وقد مدح الله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب في اول البقرة ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فهم - المعرضين - أشبه بماديين المسلمين إذا صح التعبير، لا يؤمنون بما لا تراه أعينهم؛ لقد كان رسول الله يحدث الأموات مرة فقال عمر وهل يسمعون فقال رسول الله ﷺ ما أنت باسمع منهم كما جاء في كتب السنة، فما بالك برسول الله وأهل بيته، فنحن نزورهم ونكلمهم وهم لا شك يسمعون ويردون السلام ويتهمون الشيعة بالكفر؛ لأنهم بنوا الأضرحة

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

على قبور الأئمة والصالحين بينما هذا العمل موجود عند السنة ومنذ زمن بعيد ونعد منهم.

١- قبر أبي حنيفة ببغداد بناء ضخمة وعليه قبة.

٢- قبر أبي هريرة بمصر، مزار له بناء وقبة.

٣- قبر النبي إبراهيم عليه السلام في الأردن مع جماعة الأنبياء بمدينة الخليل لها أضرحة وعليها قباب...الخ.

وإنما الشيعة قدست هذه القبور؛ لأنها رموز إسلامية وأصحابها كانوا أصحاب تضحيات عظيمة لله، وإن تعظيمهم تعظيماً لله فكما نعظم بيت الله نعظم ولي الله ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ فليفهم أولو الألباب!! أيهما اقرب للشرك من وجهة نظر هذه الفئة المعترضة تعظيم حجارة الكعبة وهي بيت الله أم تعظيم رسول الله وهو ولي الله ورسول منه.

فإن أرادوا اتهام المسلمين بالشرك من وجهة نظرهم فليتهموا كل المسلمين بالشرك؛ لأنهم يعظمون حجارة بيت الله والعياذ بالله وإذا قبل أحد قبرا قالوا انه يشرك.

إذن فمن قبل ابنه فهو مشرك، ومن قبل ارض بلاده حبا لها فهو مشرك، من اين جاءوا بأن التقبيل شرك؟ ما لهؤلاء كيف يحكمون؟ اذا طلب احد من النبي شفاعته صار مشركا اذن لماذا تركوا المتسولين يجوبون الشوارع وهم يشركون؟

أليس هؤلاء يمدون أيديهم للناس ويطلبون منهم، فالأحرى أن يرموا هؤلاء بالشرك والكفر ويُفتون بجواز قتلهم، قولوا لهم ادعوا الله ولا تدعوا

الناس. والدعاء هو طلب، لقد سمعت مرة بإذني ابن باز يقول الاستعانة بالأحياء جائز والاستعانة بالأموات شرك لماذا؟ لماذا؟

فإذا كانت الاستعانة بغير الله شرك فهي شرك سواء أكانت من حي أو ميت بشرط ان يعتقد بهم انهم يعينون مستقلين عن قدرة الله، وهي غير شرك إذا اعتقدت بان عونهم من الله. الميت يعينني بما أعطاه الله والميت المقدر مثل النبي أو الولي يعينني بشفاعته بما أعطاه الله من منزلة وقدرة، قل كل من عند الله وهذا ما تفعله الشيعة والسنة عدا الفئة المتعصبة وإن المهم هو الاعتقاد بأن كل شيء بيد الله، ولا أحد يعتقد غير ذلك وهذه أسباب بيد الله ولكن فئة ضالة أخذت تتخبط في نسبة الكفر إلى فرق المسلمين فإذا لم تجد شيعة ترميهم بذلك فأنها تعتمد إلى باقي فرق المسلمين وتلصق بهم نفس هذه الخزعات كما في مصر والمغرب العربي ... وغيرها انهم يوزعون الشرك بالمجان كما تهوى أنفسهم فإذا سمعوا باسم عبد الحسين أو عبد الرسول قالوا شرك والعياذ بالله.

وكان الإسلام لم يشتمل في تاريخه على عبيد لدى اغلب الصحابة فتجد في السيرة فلان عبد لفلان ولكنها غير العبودية لله، ثم ان هذه التسميات موجودة لدى السنة أيضاً فلماذا تستقيح عند الشيعة فقط.

أما اذا سمعوا شخصاً قال يا محمد أو يا علي فهنا الطامة الكبرى وهو الدليل الأكبر على شرك الشيعة وهم المخلدون في النار، انا سمعت مراراً أصدقاء من فلسطين وسوريا ينادون ويندبون (يا محمد) وهو أمر عادي إذا ناديت عبداً صالحاً يعينك في شفاعته عند الله كما نطلب من أصدقائنا

العاديين ونترجاهم (ارجوك يا اخي ادع لي) بينما قال الله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ومن احسن من رسول الله واهل بيته للدعاء، نجعلهم شفعاء لنا، إن مبدأ الشفاعة جعله الله لنا؛ لنعرف قيمة الشفيـع والا لماذا مبدأ الشفاعة هل يحتاج الله ليأخذ المعرفة من احد وهو العليم جل وعلا الله هو الذي اقر وشرع لنا الشفاعة وهو القادر على معرفة الناس ومجازاتهم بلا شفاعة وقد يقول قائل جاهل ان الشيعة تعتقد بالامام علي اكثر من رسول الله؟

والجواب ان الشيعة لم تعرف قدر الإمام علي إلا من الرسول ونحب الإمام علي لأجل الرسول وكلامه فيه ولكن التركيز عليه (أي على الإمام علي) كي نبين فضله مقابل من أنكروا فضله وشموه وسبوه ولعنوه على ٧٠ ألف منبر ٨٠ سنة حتى ان معاوية كان يلعن علياً في قنوته ومقابل من ينكرون فضله ومكانته عند الله، نحن نذكر ونبين فضله ونحن نعتقد بان رسول الله سيد الخلق وهو عبد الله فكيف بأهل بيته ومن يريد ان يعرف توحيد الشيعة فعلية بقراءة كتب أدعيتهم مثل مفاتيح الجنان وسأنقل جزءاً من دعاء كمثال في صفحة ٢٢٩ من الطبـعات الأخيرة تجد هذا الدعاء من أدعية شهر رمضان:

«اللهم اني بك ومنك اطلب حاجتي ومن طلب حاجة إلى الناس فإني لا اطلب حاجتي إلا منك وحدك لا شريك لك ... الخ».

فإذا طلب احد المؤمنين من النبي عيسى عليه السلام ان يحيي ميت له فانه يطلب حاجته من الله وعيسى عليه السلام إنما هو سبب وهو يحيي الموتى باذن الله ورسول الله محمد ﷺ يقضي حاجة من يريد ان يقضي حاجته باذن الله حياً كان أو ميتاً وكذلك كل ذي مقام عند الله قد خصه الله بكرامة.

وكل ما ذكرته حول الشبهات والرد عليها ما هي إلا رؤوس نقاط وعلى من يريد الاستزادة ان يبحث ويدقق وخصوصاً في موضوع أهل البيت (سفينة النجاة)، فليراجع المصادر المتخصصة في ذلك وأخص بالذكر كتابين أساسين: (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) و(المراجعات).

منزلة أبي طالب عند أهل البيت عليه السلام

في بحثنا الأساسي حول أبي طالب عليه السلام سمعنا رأي المخالفين لأبي طالب وهي فئة قريبة للحكام في تلك الفترة ومستفيدة من السلطة آنذاك وهي فئة لم تكن ممن امرنا الله بالأخذ منها، ولهم دوافعهم الخاصة بهم فإذا شك محقق واشتبه في جريمة ما فانه يبحث عن (دوافع الجريمة) أولاً فان وجد دوافع زاد شكه واستمر في البحث وشك اكثر، حتى يصل للحقيقة، وهكذا في من اتهم أبا طالب بالكفر له دافعه، وأول دافع وأهمه هو الانتقاص من مقام علي عليه السلام بأبيه.

لنبحث عن رأي أناس ليس لهم دافع إلا الله وما يريد ومن هم غير

أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ فأهل البيت هم
الفئة الطاهرة التي اوصانا رسول الله باتباعها وهم سفن النجاة من الهلكات
وهم الثقل الثاني للقرآن وهم ضمان عدم الضلال «لن تضلوا بعدي ابداً»
فما هو رأيهم في أبي طالب حول قضية اسلامه.

ماذا يقول أهل بيت النبي ﷺ في أبي طالب ﷺ

ان لمن المحزن ان لا نسمع ذكر أبي طالب إلا وتسمع أنه في النار!!
لماذا التركيز على هذه النقطة؟

هي انك تسمع تفصيل عذابه في النار امعاناً في الوصف وتأكيد العذاب (انه والعياذ بالله منتعلاً نعلين من نار يغلي منها دماغه) انا لله وانا إليه راجعون ولم نسمع بقاتل الحسين ماذا يلبس في النار؟ وماذا يغلي منه؟ بل نسمع احياناً انه مظلوم تائب يا للسخرية!

لماذا؟ لماذا تذكرون أبا طالب ما دمتم تريدون ذكر عذابه في النار؟ اتركوا ذكره افضل، لا تمدحوه ثم تجعلوه في النار، قد يردون عليك انها العبرة حتى نعرف ان من كفر مهما عمل للدين فهو في النار، لمن تريدون ان تعطوا النصيحة والعبرة؟ هل تخافون ان يأتي شخص يضحي بكل ما يملك للدين، حياته، وعياله، وماله، ثم يكفر وتريدون ان يأخذ العبرة لماذا لا نسمع في الاذاعات ان علياً سبوه على المنابر على مدى (٧٠) سنة ونسبه كان شرطاً لقبول صلاة الجماعة لماذا لا نسمع ذلك؟ وما جزاء من سبه وهو يعرف منزلته من رسول الله؟ ومن الله وما هو جزاؤهم؟ لا لا هذا يولد الفتنة!!

وذكر مكان أبي طالب في نار جهنم هو الذي يولد الألفة والمحبة

والموعظة؟ يا للعجب من هذه المقاييس هل سمعتم مرة بأن من مدح (ابن ملجم قاتل علي) من رجال الحديث وينقل عنه البخاري ويعتبره من الثقات في صحة ما ينقل!! هذا لا احد يسمعه لكن الكل يسمع ان أبا طالب في النار. أنت أيها القارئ افترض جدلاً ان ملكاً من الملائكة قال لك اختر أحد المكانين في الآخرة ليس لهما ثالث، الجنة أم النار، وأبو طالب في أحدهما ولن يسمح لك إلا أن تقول (مع أبي طالب أو الجانب الآخر الذي ليس فيه أبو طالب وفيه أبو سفيان ويزيد ومعاوية) فهل ستختار الجانب الذي ليس فيه أبو طالب وفيه أبو سفيان ومعاوية ويزيد؟ فإذا كان أبو طالب يتربع في الجنة مع ابن أخيه رسول الله فأين ستكون وليس لك أي اختيار ثالث؟ أقول هو فرض.

فكما قال الله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، وهو فرض محال لكن الله فرضه لإثبات الدليل افترض ذلك لتقرب قلبك إلى الحقيقة.

تخيل الفرق بين الشخص الذي يسلم عندما ينهزم الكفار مساء يوم الفتح وعلى مضض وقد حاول جاهداً قتل الرسول حتى الرمح الأخير وبين أبي طالب الذي يتخلى عن كل شيء ماله وعياله ومكانته عن زعامته في قريش ومكانته في الجزيرة كلها ويصبح تابعاً لرجل مستضعف لا يمثل رقماً مهماً في معادلة قريش آنذاك، يؤازره في اشد أيام محنته وضعفه إمام الأعداء الأقوياء هل لك ان تعرف الفرق؟!

وإن عجزت فراستك عن معرفة الحقيقة فلنستمع إلى آل بيت الرسول ﷺ ماذا يقولون في أبي طالب عليه السلام.

الإمام زين العابدين:

الإمام السجاد علي بن الحسين الشهيد، زين العابدين وقرّة عين
الناظرين الإمام المفترض الطاعة بعد قتل الحسين عليه السلام.

فقد وصل إلى سمعه سؤال جرح ظالم حول أبي طالب هل انه مات
كافراً فيجب الإمام بكل حرقة والم «وا عجباه كل العجب!! ايطعنون علي
أبي طالب؟ أو على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهاه الله تعالى ان يقر مؤمنه مع
كافر في غير آية من القرآن؟! ولا يشك احد ان فاطمة بنت اسد رضي الله
عنها من المؤمنات السابقات فانها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو
طالب، رضي الله عنه»^(١).

يقول الإمام السجاد ان رسول الله اكبر من ان يدع فاطمة بنت اسد
المؤمنة التي ربه تحت ظل رجل كافر وان كان عمه بعدما نهى الله عن ذلك.
فهذا اتهام لرسول الله بالمحاباة بالدرجة الأولى وهو الباطل بعينه.

الإمام الباقر:

أما الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام فيقول في أبي
طالب قولاً ليس كثيراً عليه فهو الذي حمى الدين كله ولولاه لما قام الدين
قائماً ففضله على كل المسلمين وعلى كاهله انتشر الإسلام ووصل
للمسلمين كافة فكل خير يصلنا من الدين له فيه نصيب من الأجر.

(١) الحجة: ٢٤، ونهج البلاغة، شرح أبي الحديد: ج ٣، ص ٣١٢، و شيخ الابطح ص ٧٦،

فيقول ابن السجاد الباقر عليه السلام، «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه».

ومن الواضح أن محمداً وآله مستثنون من الناس في هذه الراوية.
وقال الباقر عليه السلام «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله - والد النبي - وآمنة - أم النبي - وأبي طالب في حياته - أي في حياة علي عليه السلام - ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم»^(١).

الإمام علي:

والإمام علي عليه السلام ها هو يصرح - وهو باب مدينة علم الرسول - بإيمان أبي طالب بشكل قاطع، فلا يصح ان يحج نيابة عنه أو يأمر بان يُحج نيابة عن كافر.

وهنا تجد الإشارة إلى موضوع مهم وهو ان البعض يعتبر ان والد ووالدة النبي كافرين والعياذ بالله وانهما ماتا كافرين وهما في النار؛ لأنهما لم يسلموا.

إذن والعياذ بالله والعياذ بالله، ولا استطيع ان اقولها، ولكن اتساءل ما هو حكم رسول الله قبل ان يبعث نبياً؟

أليس الحنيفية السمحاء كانت قبل البعثة المحمدية؟ ولكنه لا اعلم كيف يحلو للبعض ان ينسب الكفر لعائلة النبي عليه السلام (ابوه وامه وعمه).
أما على مذهب أهل البيت عليهم السلام فان كل آباء النبي حتى آدم هم

(١) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣١١، وشيخ الابطح ص ٣٣ والغدير.

موحدون مؤمنون وكذلك آباء وصي النبي كعلي عليه السلام.

أما ابراهيم عليه السلام وقصة ابيه؛ فانه ليس والده الذي ولده ولكنه عمه (أي اخ والده) وكان يسميه بالابوة احتراماً له. (أو زوج أمه).

الإمام الصادق:

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام، (جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين عليه السلام) وهو الإمام الذي قال عنه أبو حنيفة النعمان عندما درس الفقه عنده لو لا السنتان لهلك النعمان وكان يدرس عنده اربعة آلاف تلميذ في مختلف العلوم ومنهم جابر بن حيان والحسن البصري وكانت علومه عليه السلام من الشعب والعمق بحيث تجد ان مجموعة من علماء الغرب في شتى المجالات وضعوا كتاباً حديثاً ترجم إلى العربية واسمه (الامام الصادق كما عرفه علماء الغرب) ومحتواه في مجالات العلوم المختلفة من رياضيات وفلك وطب وكيمياء... الخ كتبه اكثر من ٢٠ عالماً من الجامعات الامريكية والاوربية وغيرها.

اذا اردت ان تعرف جزءاً يسيراً من علوم رسول الله التي وصلت عند أهل البيت فاطلع على هذا الكتاب لتعرف كيف توارث أهل البيت علوم الرسول واحداً بعد آخر ولنعرف ان الحضارة الغربية إنما علت من علوم رسول الله التي عند الإمام الصادق عليه السلام وقد برزت بعض تلك العلوم في فترة سياسية هادئة نسبياً والتي استغلها الإمام الصادق عليه السلام في بداية زمن العباسيين ونهاية زمن الامويين.

ماذا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حق أبي طالب، سأله سائل:

(ان الناس يقولون ان أبا طالب في ضخضاح من نار؟)

فأجاب الإمام بحرقه: «كذبوا، ما بهذا نزل جبرئيل».

ثم قال: «ان مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسروا الإيمان واطهروا الشرك، فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة».

ثم قال: «كيف يصفونه بهذا؟! وقد نزل جبرئيل، ليلة مات أبو طالب فقال يا محمد، اخرج من مكة، فما لك بها ناصر بعد أبي طالب»^(١).

((ان الذي يكتم إيمانه شخص يمارس دوراً رسالياً وعملاً يستدعي التخفي مع ما في ذلك من جهد ومشقة وهكذا كان دور أبي طالب في الرسالة، وقد ذكر القرآن مراراً من يكتم إيمانه بالأهمية)).

وهنا اسأل ماذا كان دور أولئك الذين يشنعون على أبي طالب في الدين؟ ماذا عملوا لنصرته؟ أجيبوا يا أولي الألباب؟!

ويدور مرة حديث بين الإمام الصادق ويونس ابن نباتة يسأله الإمام: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟

قال: هو في ضخضاح من نار يغلي منها رأسه!

فيجيب الإمام بيقين كامل: كذب أعداء الله! أن أبا طالب من رفقاء النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا^(٢).

(١) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣١٢، والغدير ص ٣٨١، ومعجم القبور، ج ١ ص ١٩١.

(٢) شيخ الاطّح والغدير مسند إلى كنز الفوائد وضياء العالمين.

ومرة يسأله آخر انهم يزعمون ان أبا طالب كان كافراً.

فقال: كذبوا! كيف وهو يقول:

ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

ومرة أخرى يقول الإمام الصادق: كيف يكون أبو طالب كافراً وهو

يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الاباطيل

وابيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

كما جاء في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ومصادر أخرى ويحدث

الإمام الصادق عليه السلام «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي

طالب عليه السلام وان يدونه وقال: تعلموه وعلموه أولادكم؛ فانه كان على دين

الله وفيه علم كثير» وهذا الحديث لا يحتاج إلى مصدر ولا إلى شرح، فقط

خذ ديوان أبي طالب وانظر واقرأ وسترى ما يقصده الإمام علي عليه السلام واقرأ

شرح ديوان أبي طالب للخطيب محمد خليل في كتاب (غاية المطالب في

شرح ديوان أبي طالب) طباعة مطبعة الشعراوي طنطا القاهرة سنة ١٩٥٠،

وهو أحد شروحات ديوان أبي طالب وانا لم اقرأه بل سمعت عنه، وسألت

عنه في أحد معارض الكتاب - بإحدى دول الخليج - قسم القاهرة فقال:

منعوا كل ما يحمل اسم أبو طالب.

إنصاف عالم سني

وهنا أتذكر كلاماً لأحد العلماء السنة وهو الذي انصف أبا طالب من

المعاصرين حسب علمي القاصر ومما سمعته بنفسي في إحدى القنوات الفضائية، عندما قال: (أن أبا طالب في نظري مات مؤمناً ولم يتكلم كثيراً فقط قال للمتكلم معه عبر الهاتف (اقرأ ديوانه)) وهذا العالم السعودي من علماء الرياض وهو حسن فرحان المالكي في برنامج حوار من الداخل الذي تبثه تلك القناة الفضائية وكان ذلك في ٢٩/٣/٢٠٠٨ ويشكر على هذا الأنصاف والشجاعة الأدبية وقال عن الحديث أن أبا طالب في النار حديث موضوع واسأل الله أن يهديه للخير دائماً ابداً وأن يجعل هذه الشهادة منه في ميزان حسناته وأناله الله شفاعة المصطفى أن شاء الله.

الإمام الرضا:

ولنسمع ماذا يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين الشهيد):
كتب أبان بن محمود إلى الإمام الرضا عليه السلام «جعلت فداك اني قد شككت في إسلام أبي طالب».

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام إذ كتب له: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) وبعدها انك ان لم تقر بإيمان أبي طالب، كان مصيرك إلى النار.

وعن الإمام الحسن بن علي بن الجواد ابن الرضا العسكري عليه السلام يقول

(١) النساء: ١١٥، جاء في الغدير ٣٨١، النهج، ٣/٣١١.

في حديث طويل بسنده عن آبائه الأطهار عليهم السلام أن الله تبارك وتعالى أوصى إلى رسوله ﷺ في حديث قدسي إني قد أيدتك بشيعتين، شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية.

فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم: عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: [وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه] ^(١).

الله جل وعلا هو الذي نصر رسوله ﷺ وأيده ولكن بمن نصره؟ نصره بجدار حصين وسد منيع ويجبل أشم يستند إليه النبي ﷺ وينطلق بقوة وهو أبو طالب! فهل يختار الله لرسول عابد صنم ومن هو خالد في نار جهنم؟؟

معاذ الله وحاشاه جل وعلا، بل يختار له النور الأبلج الطهر المقدس الذي ما يسمع الإنسان المؤمن بما عمله حتى تهفو له النفس حباً وتقديساً. نعم، هو النور الذي اختاره الله لحبيبه ويخرج من نسله نور آخر هو علي ابن أبي طالب عليه السلام فيكون الله جل وعلا قد أختار لحبيبه أظهر الطاهرين لنصرته وهذا ما يدركه كل مؤمن منصف عندما يطلع على السيرة النبوية المقدسة.

(أننا نظلم أبا طالب عليه السلام عندما نقول أنه مات مسلماً!! هكذا مات مسلماً كم من الفسقة والمجرمين والعصاة والظلمة ماتوا مسلمين!! إن أبا طالب في القمة عظيم من العظماء به نصر الله

رسوله) كم من المسلمين لا خير فيهم ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١) ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٢).

لا يا رسول الله فناصرك العظيم عمك العظيم أبو طالب، قمة الإيمان وقمة التقوى وقمة الطهارة، وقمة الجهاد ولا نقول كما يقول الجاحدون المنكرون لفضله، فقد أعطانا الله العقل والتفكير الذي عرفنا به الله وعرفناك، وعرفنا به عمك العظيم أبو طالب.

قول ابن عباس

فهذا ابن عباس يسأله رجل: يا ابن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فيجيبه باستغراب وكيف لم يكن مسلماً!! وهو القائل:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطيل
إن أبا طالب كان مثله كمثل أهل أصحاب الكهف حين أسروا
الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين^(٣).

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) الحجة ١١٥/٩٤، الغدير: ج ٣، ص ٣٩٧.

قول أبوذر

وهذا الصحابي الجليل العظيم الذي لا يخاف ولا يهادن (أبوذر الغفاري) رضوان الله عليه، يقسم بأعلى صوته في وجه الباطل وفي عقول البسطاء (والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم)^(١).

(١) الغدير: ج ٣، ص ٣٩٩ عن أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

وقفتم مع العقل

كم مدح الله العقل في القرآن ومدح من يستخدمه ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١). وكم ذم من لا يستخدم عقله. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢). ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣). وآيات كثيرة جداً.

وجاء في الحديث ما معناه: أن الله أول ما خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك بك أثيب وبك أعاقب.

لماذا هذا التركيز على العقل؟؟

لأن العقل هو وسيلتنا لمعرفة الحق ومعرفة الله ومعرفة كل الحقائق ومعرفة الخير ومعرفة الشر ومعرفة المعقول فإذا قلت عن شيء أنه معقول أي يطابق العقل.

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) سورة الفرقان: ٤٤.

فليكن لدينا هنا في خاتمة الطريق وقفة مع عقولنا ولتتعامل معها بشفافية فلا يمكن أن تخوننا عقولنا إلا إذا تعصبنا للنفس والهوى فإن النفس أماراة بالسوء والهوى عدو مهلك فقد قال الإمام علي عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فيثني عن الآخرة»^(١).

وشاهدنا عن الهوى فهو الذي يصد عن الحق.

والعقل يقودنا للحق.

وإذا أردنا أن يكون لهذه الوقفة مع الحق ثمار يانعة نقطفها فعلينا تصفية الذات من أدرانها وهواها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٣).

فإذا رأينا حقاً أننا نخلصنا من أدران الهوى عندها فلنجلس مع عقولنا جلسة.

آه، علنا نصل إلى ما ينفع، ولكي يجدي الموضوع فسوف نجعل ذلك الحوار مع العقل محدداً بنقاط محددة لنسيطر على الموضوع من جوانب محددة بخصوص أبي طالب وسنصل بعقولنا إن شاء الله إلى إدراك

(١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ١٠٧.

(٢) سورة النازعات: ٤٠ - ٤١.

(٣) سورة الفرقان: ٤٣.

مدى مظلومية هذا البطل العملاق حبيب رسول الله ﷺ وذلك يتم عبر عدة نقاط هي عبارة عن وقفات بين العقل والذات.

وقفات بين العقل والذات

١- موقف العارف:

بعد أن عرفنا ﷺ من خلال سيرة النبي ﷺ وكيف أن أبا طالب عايش النبي ﷺ منذ صغره وأدرك عظمة هذا النبي الأكرم ﷺ من خلال تربيته له وقربه منه لحظة بلحظة وعلى مدى أربعين سنة وأبو طالب ليس ذلك الإنسان العادي فهو العاقل الحكيم الكريم العالم سيد قومه! فإدراكه للنبي غير إدراك الآخرين فلو كنت أنت مكان أبي طالب فهل كنت ستخالف النبي ﷺ في أمر؟

لو قدر لأي شخص عادي هذا الموقف ماذا سيكون موقفك لو كنت أنت مكانه؟ ماذا سيكون حالك وموقفك من النبي؟ تصدق - أم تجحد؟

٢- رؤية المعجزات:

م يقتصر الأمر على إدراك النبي ﷺ وإدراك عظمته، بل أن أبا طالب قد رأى المعجزات الواضحات بأم عينه والتي مر ذكرها كسير الغمام مع النبي ﷺ وإثمار الأشجار وإدراك اللبن من الشاة ... وغيرها من المعاجز والدلالات الواضحات من العلماء السابقين والرهبان، فما يكون موقفه بعد كل هذه البينات هل من الممكن أن لا يدركها أبو طالب ﷺ ماذا سيكون

موقف أي شخص آخر متوسط العقل والأدراك؟
ماذا سيكون موقفك أنت لو كنت مكانه؟

٢- ذم الكافرين:

لقد ذم الله تعالى الكافرين في القرآن ذمًا لا ذعًا ولعنهم لعناً كثيراً في آيات عديدة من بداية القرآن إلى آخره، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وقال تعالى في ذم أخيه أبو لهب لكفره ومن على شاكلته.

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٤).

أبعد كل هذا الذم والتقريع والاستهزاء بهم من قبل الله يرضى هذا العالم العاقل الذي عاش النبوة أن يكون منهم؟ ماذا لو كنت أنت مكانه؟

(١) سورة المسد: ١.

(٢) سورة القلم: ١٦.

(٣) سورة هود: ١٨.

(٤) سورة العلق: ١٥.

٤ عاقبة الكافرين:

لقد توعد الله الكافرين بالعذاب الشديد الذي لا يحتمله إنسان، فقد قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾^(٣). آيات عن العذاب ووصف العذاب والجحيم ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(٤).

ماذا تتوقع أيها العاقل أن يكون موقف أبي طالب مع هذا الوعيد بنار جهنم للكافرين؟ ماذا سيكون موقف أي إنسان عاقل؟ وماذا لو كنت أنت مكان أبي طالب؟

٥ خطورة القرار:

عدم قبول الله لأي مواقف وسطية في الحق، وإذ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة النساء: ٥٦.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) سورة الملك: ٧.

(٤) سورة الحاقة: ٣٢.

(٥) سورة آل عمران: ٨٥.

ويقول تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).
ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وآيات أخرى في هذا السياق، فماذا سيكون موقف أي شخص عاش حياة أبي طالب بعد سماع هذه الآيات؟
وماذا سيكون موقفك أنك لو كنت مكانه؟

٦- التضحيات والثمن:

إن كل إنسان يعيش في هذه الحياة يسعى للعيش الكريم فيجد له رزقاً ويكون عائلة ويربي أولاداً صالحين ولا يمكن أن يفرط بهذه المكتسبات أبداً ومستعد أن يحارب من أجلها بروحه وغير مستعد أن يساوم عليها مهما حدث ومهما كان المقابل؛ لأن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، لكن إذا رأينا إنساناً قد ضحى بمكتسبات حياته من مال وبنين وحياة مستقرة فلا بد أن يضحي بذلك من أجل مبدأ، فكيف تعامل أبو طالب مع هذه المكتسبات من حياته الاجتماعية وماله وعياله، وقد مر علينا كيف ضحى بأبنائه علي عليه السلام وجعفر عليه السلام وكان يضع بنفسه ابنه علي عليه السلام مكان رسول الله في الشعب وكم عانى من الجوع حتى أهلكه في شعب أبي طالب، والجهد والمواجهة الحامية الدامية ... الخ.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

فمما مر ذكر سابقاً، أيعقل أن يضحى أبو طالب بكل ما هو غال عنده
هكذا، فلا يعقل أبداً إلا وهو سيد المؤمنين بهذا الدين. فهل الباعث شيئاً
آخر غير الإيمان؟ ماذا لو كنت أنت مكانه؟

٧- الخشية على المكاسب:

من الطبيعي أن نرى بعض الكافرين يصرون على كفرهم؛ لأن
الإيمان يسلبهم بعض المصالح الدنيوية، مثل جباية قريش إذ كان سيسلبهم
الإيمان السلطة السياسية والمنافع الاقتصادية المترتبة على استمرار عبادة
الأصنام ودوام الشرك.

لكن ما تقول في شخص لا تهمة هذه المصالح الدنيوية؟ بل تراه على
العكس يضحى بها من أجل الدعوة والرسالة المحمدية فليس لديه ما
يخشاه إذا آمن بل على العكس مستعد أن يبذل كل ما لديه في سبيل هذه
الدعوة.

أيعقل أن يكون شخص مثل أبي طالب ولا يكون أول الملبين
لِلرسالة السماوية؟ وهو لن يخشى على شيء، بل قدم كل شيء، ماذا لو
كان أي شخص عادي مكانه؟
ماذا لو كنت أنت مكانه؟

ويشير القرآن إلى هذا المعنى في ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي

سَبِيلِهِ^(١)، إذ يشير إلى الموانع التي تمنع الإنسان من الجهاد والتضحية وهي أشياء قدمها أبو طالب كلها في سبيل الله عز وجل وبكل فخر واعتزاز.

٨. الفطنة والخسارة:

يعرض لنا القرآن نماذج من الكفار استمر كفرهم حتى الساعات الأخيرة لخبث سريرتهم وعدم إيمانهم وضعف يقينهم بالله مثل فرعون، إذ نراه يعلن أوبته وإيمانه عندما رأى نفسه خسر ولكن الله لم يقبل منه.

﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(٢). ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾.

وكذلك قارون، عندما رأى نفسه قد خسر كل شيء استنجد بموسى، بينما نجد الظلم الشنيع يقع على أبي طالب بحيث يتهمونه بأنه حتى في ساعاته الأخيرة وفي مرض الموت لم يستجب للحق والعياذ بالله. فالإنسان إذا لم يؤمن لسبب معين فهذه الأسباب لن تبقى عند الموت فلماذا الكفر والعناد.

أيعقل هذا أيها المؤمنون؟ هل تعقلها أنت، إنا لله وإنا إليه راجعون.

٩. معدن أبو طالب:

شخص عابد صنم لعنه الله وطرده من رحمته ومصر على الكفر ورغم

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) سورة يونس: ٩١-٩٢.

أنه رأى كل معجزات النبي بأم عينه وعرف كل الحقائق إلا أنه مصر على الكفر فهل ترجو من ذلك الشخص خيراً؟ كيف يتركه النبي إلى جانبه وفي خندقه؟ المجرمون القاتلون السفاحون المعاندون في الكفر الذين ضربوا رسول الله وعذبوا المسلمين حتى الموت وكادوا يقتلون النبي بعد أن أدموه، كل هؤلاء قلوبهم تخشع لذكر الله وفيهم الخير والذي رأى كل معاجز النبي وكرامات وعاشره (٤٠) سنة، لا يخضع قلبه للإسلام، أيرجى من هذا الشخص خيراً؟؟ سيقولون لك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

نعم، الهداية من الله لمن أحبهم النبي، وليس من النبي. وليس معنى الآية أن الله لن يهدي من يحبه النبي، كما أدعوا زوراً تفسيراً لهذه الآية.

من الذي يهديه الله هناك شخص يستحق الهداية أكثر من شخص أحبه النبي حباً صادقاً وأحب النبي ودافع عنه، وكان رمزاً لكل معاني الخير في العالم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة المائدة: ١٠٨.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٤.

١٠- ولاء النبي للمؤمنين:

لقد كان النبي وأبو طالب وابناؤه لحمه واحدة وكان رسول الله ﷺ في قمة الحب والولاء لعمه أبي طالب أيتناسب ذلك مع رسول الله في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

فهل تعقل أن يوالي رسول الله من أستحب الكفر على الإيمان؟ ويدخل في قائمة الظالمين والعياذ بالله، وهل يحابي رسول الله من أجل مصلحة الحماية، وهو المتوكل على الله الواثق به.

إن المقصود من (الولاء) في الآية السابقة الولاء الصادر من الأعماق فهذا حرام على المسلمين تجاه من استحب الكفر على الإيمان، بينما نجد أن رسول الله كان يحب عمه حباً شديداً وبكاه بحرقة في وفاته وسمى عام موته وموت خديجة بـ (عام الحزن)، فهل يوجد ولاء أكثر من هذا الولاء.

١١- أيهم أشد أجراماً: شخص عاش في البادية ولم يدرس ولم يتعلم أحكام الدين ولم يكن قريباً من العلم والثقافة وقام بجريمة سرقة مثلاً، أم شخص عاش في المدينة وهو جامعي وعاش بين المساجد ودرس العلم الديني ثم سرق فمن هو أشد جرماً؟

حتى أن الله شرع حداً لزنى المحصنة أشد من حد غير المحصنة، هذا

هو العقل.

إذن فالقريب من النبوة الذي عرف وشاهد عياناً كل المعاجز والعلائم ثم يكفر بالله ويرفض الإيمان يكون أشد كفراً من ذلك البعيد الذي لم يسمع إلا بالقليل فينبغي أن يكون عذابه أشد من غيره وليس أخف كما يدعون زوراً وبهتاناً عن رسول الله ﷺ والعياذ بالله.

فأبو طالب حقاً له أن يكون أول المؤمنين، لا أنه يرفض الإيمان، ولو فعل والعياذ بالله فهو أشد بعداً عن الله من غيره! وهذا ما لم يكن أبداً.

١٢- إن أبا طالب مع وفي خندق النبي ﷺ والنبي يحارب المشركين والمشركين يحاربون جبهة ضد جبهة، والقضية التي بينهم ليست مالاً أو أرضاً، أو نهراً، بل القضية التي يحاربون من أجلها هي الدين والمبدأ والعقيدة فأبو طالب ليس جندياً بسيطاً في صفوف قوات النبي بل هو بمثابة وزير أو مستشار أو ما شابه ذلك بمصطلح اليوم والحرب قائمة لقضية مبدأية دين الله (الإسلام) التوحيد.

فكيف تتبنى هذه الشخصية التي تحارب مع الرسول ضد المشركين نفس الاعتقاد الذي يتبناه المشركون، أي عقل أن يقاتل فرد جماعة على الشرك وهو مشرك، وكيف يتحرك لقتال المشركين لو لم يكن مؤمناً، فإن المحرك لقتال المشركين هو الإيمان، وكما لا يعقل أن شخصاً معتقداً بالشيوعية ويحاربها.

بعد أن نفينا عن أبي طالب ﷺ كل ما يمكن أن يكون دافعاً لوقوفه مع النبي ﷺ من مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية لأنه كما أسلفنا

وضعها تحت قدمه؛ نصرةً للنبي ﷺ والنبوة.

١٣- يقول الله عز وجل عن نفسه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) ويقول عز وجل ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢) فلو إن شخصاً ما يعيش في دولة بعيدة وذو مال وسلطة، وذهب ابنكم لتلك البلدة وهناك تعرض ابنكم لأخطار شديدة ولم يكن له مأوى ولا ناصر وصار له أعداء يتربصون به ليقتلوه وقام ذلك الشخص بحماية ابنكم وآواه ونصره وحماه من الأعداء بما يملك وخسر منصبه وبذل في ذلك ماله حتى صار فقيراً معوزاً، وتعرض للأذى هو وعائلته وتُدمر كل كيانه الاجتماعي والمالي والوظيفي وتم ما أراد وضحي لأبنكم وأكرمهم، وأعزه وأغناه ورتب كل أمور أمنه، ومعيشته وعلى حساب نفسه وعياله وعاد إليكم ابنكم معزراً مكرماً فما يكون شعوركم تجاه هذا الشخص المحسن لو شاهدته بعد فترة؟ أجب أنت في نفسك، ثم تابع القراءة.

نحن البشر هكذا، فكيف تكون رد الله تعالى الرحيم والذي يقول عن نفسه (شكور وشاكر) أي كثير الشكر.

كيف يكون رد الله عز وجل على كل ما عمله أبو طالب ﷺ لرسول الله ﷺ.

ألا يستحق أن يهديه الله تعالى إلى الطريق المستقيم، وهو تعالى الذي

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

يقول عن نفسه ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، إذا لم يستحق أبو طالب هداية الله فمن يستحق الهداية؟

هل هناك شخص في كل الجزيرة العربية نصر رسول الله كأبي طالب وابنيه علي عليه السلام وجعفر عليه السلام.

الهداية الإلهية للجميع عدا الذين استبعدهم الله في الآية القرآنية وعلى سبيل المثال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٥).

بينما تكون الهداية أقرب إلى ذوي النفوس السامية والسجايا الحميدة ومن يكون مصداقاً لها غير أبو طالب؟

عن صحيح الترمذي عن ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوا النعل بالنعل».

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) سورة غافر: ٢٨.

(٤) سورة الأحقاف: ١٠.

(٥) سورة الصف: ٥.

وفي رواية أخرى من الترمذي أنه عليه السلام قال: «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة... فلا أدري اتعبدون العجل أم لا».

وفي بعض التفاسير عن الآية ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(١) أي حالاً بعد حال قال رسول الله لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لا تخطئون طريقهم ولا يخطي شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى ان لو كان قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟

قال: فمن اعني.

لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة^(٢).

(١) سورة الانشقاق: ١٩.

(٢) تفسير القمي: ص ٧١٦ (منشورات ذوي القربى).

((خلاصة الأمر))

مؤمن آل فرعون

لقد عودنا القرآن العظيم عرض الحقائق الجليلة منه خلال قصص مرت على اقوام سابقين وانبياء سابقين لتكون اقرب إلى الوضوح والادراك ونلاحظ بوضوح تركيزاً على قصص فرعون وتعامله مع نبي الله موسى عليه السلام وربما جاء هذا التركيز؛ لطغيان فرعون الشديد وخسارته في النهاية على يد نبي الله موسى عليه السلام.

ومن خلال دراما مشوقة ومثيرة مليئة بالعبر والمواعظ، وحتى في الروايات والأحاديث ان ما سيجري على المسلمين سيحاكي ما جرى على قوم موسى في الحديث عن رسول الله.

ونجد أن رسول الله ﷺ أشار إلى مكانة الإمام علي عليه السلام من خلال مكانة هارون من موسى عندما قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

وها هو القرآن العظيم يستعرض قصة تتصل بموضوعنا وكأنما قد

(١) الجمع بين الصحيحين: ج ١، ص ١٩٢، صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٧٠ سنن ابن ماجه:

وضعت لأجل هذا الموضوع.

إذ يقول الله تعالى شأنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(١).

فها هو القرآن يتكلم عن مبدأ الكتمان بشكل واضح وجلي ويستعرضه على انه مبدأ صحيح ومهم لمصلحة الدعوة والدعاة، وهذا مبدأ طبيعي وعادي فهذا رسول الله لم يأمر من البداية بالكشف عن إيمان اتباعه فكثير من الصحابة بقي اسلامهم طي الكتمان لفترات يكتم كل واحد منهم إيمانه لفترة من الزمن ثم ليظهره طبقاً للمصالح العامة.

وفي الآيات السابقة يوضح العلي القدير كيف ان مؤمن آل فرعون حزقيل وهو من قرابة فرعون وابن عمه في بعض الأحاديث كان مؤمناً وهذه النقطة مهمة فكونه مؤمناً أهله ومكنه ان يكون في صف جبهة موسى من خلال كتم إيمانه ولذا استطاع ان يقوم بدور مهم يذكره القرآن إلى يوم القيامة فكونه يكتم إيمانه يجعله في مقام اكبر عند الله؛ لأنه سيمارس دوراً رسالياً جهادياً، سيدافع عن النبي والرسالة بفاعلية اكبر تماماً كما كان يفعل عم رسول الله أبو طالب عليه السلام.

ف نجد حزقيل من خلال كتمان ايمانه قال اشياء لا يستطيع ان يقولها لو

كان إيمانه ظاهراً.

دعنا نستعرض الحوار الذي يدور بين رجل مؤمن يكتُم إيمانه مثل أبو طالب ومن الفئة الكافرة فرعون وقومه والذين هم بدورهم ككفار قريش، علنا ندرك بعض الحقائق المفيدة لبحثنا. ويتابع حزقيل قوله على لسان القرآن الكريم ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَنِي اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ* وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾^(١).

أخي القارئ القرآن الكريم يركز على إيمان ذلك الشخص الذي آمن ويستطيع أن يمارس دوراً ارشادياً دفاعياً عن الدعوة من داخل عيان الكفر وهكذا كان يعمل أبو طالب إذ كان يدافع بكل ما استطاع عن رسول الله وعن الدعوة من خلال وجوده داخل كيان قريش الكافر ويحاول أن ينصحهم ويوضح الفكر التوحيدي قدر المستطاع عليهم يهتدون؛ لانهم بكبريائهم لن يستطيعوا سماع النبي مباشرة ولكنهم قد يستطيعون سماع رجلا من اوساطهم وهذا ما كان يفعله أبو طالب ﷺ.

ويتابع القرآن على لسان حزقيل توجيه الارشاد ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ* وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ* يَوْمَ تُوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ

اللَّهُ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ
 مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ
 لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ بَعْدَهُ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا
 عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ
 جَبَّارٌ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ *
 أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ
 زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
 تَبَابٍ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ
 سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا
 لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ
 وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ
 إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا
 إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
 وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا
 مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١﴾

انظر أخي القارئ كيف استطاع هذا الذي يكتُم إيمانه وهو في نظر الناس كافرًا من آل فرعون كيف استطاع أن يبلغ دين الله وبهذا الحجم والكيفية وأن يدافع عن دين الله وعن موسى وبالتأكيد كان يعلم الخطط التي كان ينسجها فرعون ضد موسى ﷺ وبالتالي كان الله يحميه بفعل حزقيل وهل كان يستطيع حزقيل أن يقوم بهذا العمل لو أعلن عن إيمانه وكان في صف المؤمنين وعندما يعرض لنا القرآن هذه القصة وكأسلوب الدعوة أي أن هذا هو الأسلوب الصحيح يجب أن يكون هناك دعاة مخفيون ومن داخل كيان العدو وقريبون من ذلك للدفاع عن صاحب الدعوة بكل ما أُوتوا من قوة ومن خلال مكانتهم في قومهم يستطيعون أن يذبوا عنه.

ليحاولوا طرح الفكر الإيماني بشكل آخر غير الشكل المباشر من صاحب الدعوة ليتسنى للكافرين التفكير بالأمر خارج ضوضاء كبرياء النفس.

فإذا كان هذا الأسلوب يعرضه الله كأسلوب صحيح للدعوة فأين رسول الله ﷺ من تطبيق هذا الأسلوب الصحيح من دعوته؟! وهل هناك أفضل مما فعله رسول الله ﷺ مع قريش من وضع أبي طالب موضع مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه ويمارس دوره الجهادي.

ماذا قال أبو طالب

ان أبا طالب شاعراً عظيماً كرس شعره في سبيل العقيدة والمبدأ، شعره كان بمثابة الصواعق التي نزلت على رؤوس المشركين، شعراً هو اخطر من فضائيات هذا الزمن واطخر من وزارات الاعلام بكاملها إذ كان الشعر في ذلك الزمن هو الاعلام الذي يخشاه الجميع وإذا أظهر أبو طالب كلماته الشاهدة فقد قالها شعراً ودون ان يعطي ذريعة لحمقى قريش بأن يستبعدوه من دائرة التأثير السياسي في مجاميعهم.

ماذا قال الرفيع أبو طالب؟

ويستعرض القرآن بعضاً من أقوال مؤمن آل فرعون حزقيل رغم انه يكتُم إيمانه، ونحن نستعرض هنا بعضاً من أقوال أبي طالب والتي تكشف ما بداخله رغم انه يكتُم إيمانه، إذ انه يبلغ ما يستطيع رغم أنوف الكافرين بطريقة يحافظ على وضعه داخل مجتمع قريش له كلمته وكيانه وفي المقابل يقول ما يريد قوله في حق النبي والدين فينصر الله ورسوله في السر والعلن، وتستطيع فطنة أبي طالب وعلمه الغزير ان يقوم بهذا الدور افضل قيام ومن يستطيع ان يقوم بهذا الدور غيره في جبهة النبي ﷺ؟.

ونستعرض شيئاً مما قاله أبو طالب رضوان الله عليه في معرفته بالله، جاء هذا البيت في قصيدة سنذكره منفرداً ثم نذكره داخل القصيدة:

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
ألا يعني الإيمان بالنبي والقرآن.

ولنستعرض القصيدة التي جاءت ابان مقاطعة قريش للثيمة لبني
هاشم وتجويعهم ثلاث سنوات لتركوا النبي طعمة لسيوفهم وذلك بان
يزول عن رسول الله درعه الواقى وهو أبو طالب، لكن هيهات إذ قال أبو
طالب عليه رضوان الله تعالى:

يرجون منا خطة دون نيلها	ضراب وطعن بالوشيح المقرم
يرجون ان نسخي بقتل محمد	ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتهم وبيت الله حتى تغلقوا	جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع ارحام وتنسى حليلة	حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم	وغشيانكم في أمركم كل مائمه
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى	وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله	إذا كان في قوم فليس بمسلم

ألم يقل أبو طالب في هذه الأبيات اشهد أن لا اله إلا الله وأنه محمد
رسول الله، وسوف نترك شرح شعر أبي طالب للقارئ يحكم بنفسه ولكونها
كالنور في وضوحها لكل ذي بصر وبصيرة.

وعندما عرضت قريش على النبي الأكرم عن طريق أبي طالب، الدنيا
والسلطان والمال لترك رسالته أو المواجهة حتى الموت، نقل أبو طالب
الرسالة ثم عاد إليهم بالجواب المحمدي العظيم الذي نقشه النبي في أفق
الدهر سرمداً.

الجواب الذي أسر أبا طالب وقهر قريش «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه».

وتبتهج روح أبي طالب إذ يمارس دوره بكل نشوة وبهجة الموقن إذ يصرح لنبي الرحمة: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أفضى نوراً وبقيناً وجهاداً إذ قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر بذاك وقرفيك عيونا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بان دين محمد	من خير أديان البرية دينا

وهل يحتاج هذا الافصاح إلى تعليق أو شرح!!!

ألا تعدل هذه «اشهد أن محمداً رسول الله»

وعندما أساء ابن الزبيري للنبي وآذاه والقى عليه بعض الأوساخ، شكى النبي ذلك لحاميه أبي طالب وقال له من انا؟ انتفض أبو طالب فذهب ولطم ابن الزبيري وتركه ينزف دماً ومر على باقي رفاقه ولطخ لحاهم بالأوساخ ثم أجاب النبي على سؤاله من أنا؟ وقال له:

انت النبي محمد	قـرم، أغـر مسـود
لمسـودين أكـرام	طابـوا وطاب المولـد

نعم الأرومة اصلها	عمرو الحطيم الاوحد ^(١)
هشم الربكة في الجفان	وعيش مكة انكد
فجرت بذاك سنة	فيها الخيضة تثررد
ولنا السقاية للحجيج	بهايمات العنجد
انى تضام ولم امت	وانا الشجاع العربد
وبنوا أبيك كأنهم	اسد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً	بالقول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب	وانت طفل امرد

وترى أبا طالب يدافع عن المسلمين الذين تعدت عليهم قريش وها هو عثمان بن مضعون^(٢)، الصحابي الجليل الذي اسلم فوقع تحت تعذيب وتعسف قريش فذهب إليه أبو طالب وانتزعه من براثن المشركين وقال فيه:

امن تذكر دهر غير مامون	أصبحت مكتئباً يبكي كمحزون؟
ام من تذكر اقوام ذوي سفه	يغشون بالظلم من يدعوا إلى الدين
الا ترون اذل الله جمعكم	انا غضبنا لعثمان ابن مضعون
ونمنح الضيم من يبقى مضيمتا	بكل مطرود في الكف مسنون
ومرهفات، كأن الملح خالطها	يشفي بها الداء من هام المجانين
حتى تقرر رجال لا حلوم لها	بعد الصلابة بالاسماع واللين

(١) وهو جد النبي عمرو بن صناف (هاشم) لانه يهشم الخبز ويطعم.

(٢) صحابي جليل ذو شأن وقبره يقع في البقيع رضوان الله عليه.

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذى النون
وأشير هنا إلى البيت الأخير وكأن أبا طالب يحاكي ما جاء في
القرآن الكريم على لسان حزقيل إذ قال لفرعون وقوم، وفرعون يذكركم
بالأمم السابقة ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا
اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(١).

وهذا منتهى الإيمان بالفكر السماوي.

وهكذا خاطب أبو طالب عليه السلام ملك الحيشة النجاشي بعد أن هاجر إليه
جعفر بن أبي طالب ليحتمي به من بطش قريش فأرسل إليه بهذه الرسالة
الشعرية:

تعلم ملك الحيش ان محمدا	نبي كموسى، والمسيح ابن مريم
اتى بالهدى مثل الذي اتيا به	فكل بأمر الله يهدي لمعصم
وانكم تتلون في كتابكم	بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا الله نداً واسلموا	فإن طريق الحق ليس بمظلم
وانك ما تأتيك منا عصابة	لقصدك، إلا ارجعوا بالتكرم

الم يقل أبو طالب في هذه الأبيات (اشهد ان محمداً رسول الله)
وكذلك قال في قصيدة أخرى:

الم تعلموا انا وجدنا	نيئاً كموسى، خط في اول الكتب
وان عليه في العباد محبة	ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

وان الذي رقتم في كتابكم	يكون لكم يوماً كراغية السغب
افيقوا، افيقوا قبل ان تحفز الربى	ويصبح من لم يجن ذنباً، كذى ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	امر، على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبیت الله، نسلم احماً	لغراء من عض الزمان ولا كرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا	ولا نشكي مما ينوب من النكب

وها هو يفدي النبي بروحه ويوصي غيره من عشيرته بالنبي حرصاً عليه من الخذلان فمرة يطلب من ابنه علي عليه السلام الصبر عندما ينأى الإمام علي عليه السلام مكان النبي صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب، إذ قال علي عليه السلام: يا أبت إنني مقتول.

اصبرن يا بني، فالصبر احبى	كل حي مصيره لشعوب ^(١)
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى	فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تحلى بعمر	اخذ من مذاقها بنصيب

ويجيبه الإمام علي عليه السلام بما يفتخر به كل مؤمن قد عشق النبي:

اتأمرني بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني احببت ان ترى نصرتي	وتعلم اني لم ازل لك طائعاً

سأسعى لوجه الله في نصر احمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً^(١)

ومرة يوصي بني هاشم إذ يقول من درر الشعر ما ينبغي أن يكتب
على جبين التاريخ شاهداً على عظمة أبي طالب وجهه وتفانيه في نصره
النبي ﷺ:

ابني علياً وعمّ الخير عباسا	اوصي بنصر نبي الخير أربعة
وجعفرأ، أن تذودا دونه الناسا	وحمزة الأسد المخشي صولته
في نصر احمد، دون الناس اتراسا	كونوا - فداء لكم امي وما ولدت -
تخاله في سواد الليل مقباسا	بكل أبيض مصقول عوارضه

وقال في التوحيد:

هو الوهاب والمبدئ المعيد	ملك الناس ليس له شريك
ومن فوق السماء له عبيد ^(٢)	ومن تحت السماء له بحق

ويقول:

يا شاهد الله، علي فاشهد اني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فاني مهتدي^(٣)

(١) نهج البلاغة للحديدي: ج ٣، ص ٣١٠.

(٢) ديوان أبي طالب، ص ١١، شيخ الابطح: ص ٨٥

(٣) شيخ الابطح: ص ٨٠

وقال:

أعوذ برب البيت من كل طاعن	علينا بسوءٍ أو يلوح بباطل
كذبتُم وبيت الله يُبزي ^(١) محمداً	ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وإنا - وبيت الله - إن جد ما أرى	لتلتبس أسيفنا بالامائل
بكل فتى مثل الشهاب سميدع	أخي ثقة عند الحفيظ باسل
وابيض يستقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
الم تعلموا أن ابننا لا مكذب	لدينا ولا نعبأ بقول الاباطل
لعمري لقد كلفت وجداً باحمد	واحبيته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسي دونه فحميته	ودافعت عنه بالذرى الكواهل
فلا زال للدنيا جمالاً لاهلها	وشيئاً لمن عادى وزين المحافل
فمن مثله في الناس أي مؤمل	إذا قاسه الحكماء عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش	يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
وايده رب العباد بنصره	وأظهر ديناً حقه غير باطل

ويوجه مرة أخيه حمزة لنصر الدين فيقول له:

فصبراً أبا يعلي على دين احمد	وعن مظهرأ للدين وفقت صابراً
وحط من اتى بالحق من عند ربه	بصدق وعزم لا تكن حمزة كافرا

(١) يُبزي: أي يقهر ويُغلب. النهاية في غريب الحديث والاثَر، ج ١، ص ١٢٥.

فقد سرنى إذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريش بالذي قد أتته جهاداً، وقل ما كان احمد ساحرا
نكتفي بهذا القدر من أشعار أبي طالب عليه السلام ومن أراد الاستزادة فعليه
بالرجوع إلى ديوان أبي طالب ليعرف هذا العملاق اكثر فاكثر.

ثمرة الكلام

ان رسول الله ﷺ عندما دعا الناس للاسلام كان الناس يبحثون في صدق دعوته هل هو صادق وعلى الحق فيتبعونه أم ان دعوته باطلة فيجتذبونه وخصوصاً لمن لا يعرفون النبي عن قرب ولكن بعد ان ثبت عند الناس - القريب منهم والبعيد- صدق دعوته تغيرت المعادلة فبعد ان كان السؤال هل محمد نبي أم لا؟! اصبح السؤال «هل صدقه فلان فهو مؤمن أم كذبه فهو كافر»، وهكذا الحال بالنسبة إلى أبي طالب فبه نعرف المؤمن من المنافق، فليس السؤال ان أبا طالب مسلم أم كافر والعياذ بالله بل السؤال من الذي تجرأ على أبي طالب فهو الذي تكون عليه علامة الاستفهام ويدور حوله السؤال؟ وهو الذي يخرج من دائرة المؤمنين ويجب ان نحذر منه واذا كانت تضمه دائرة فيجب ان نحذر من هذه الدائرة التي تضمه ونتهمها هي، وهذا مصداق للحديث الذي يقول: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) وهكذا من يتهم رسول الله بالكذب فهو الكاذب مهما أتاننا بأدلة وبراهين ومن قال ان رسول الله ذو خلق سيء فقد كذب، فعندما يتهم زيد رسول الله بأي تهمة وإن كان زيدا صادقاً فإن اعتقادنا بأن زيدا صادق هو الخطاء الكبير. الذي يجب ان نخشاه ونعيد النظر فيه وفيمن

ينتمي إليه، فعندما يقول لنا إنسان عادي ودون العادي بأني مسلماً فلا يحق لأي شخص بأن يقول له انك غير مسلم هذه هي القاعدة وان كان هذا الشخص فاسقاً فاجراً فلا يحق لأحد بأن يكفره فكيف إذا كان هذا الشخص هو العملاق أبو طالب عم رسول الله حامي وناصر العقيدة من الضياع والذي له حق على كل مسلم في هذا العالم فلولا لما انتصر الدين ولقتلت الدعوة في مهدها.

فأبو طالب بعيد كل البعد عن كل هذا الروايات الموضوعية والكاذبة وهو فوق كل الشبهات فهو أعلى من ذلك بكثير ويكفي ان نعرف مكانته الحقيقية من أهل البيت الكرام فأهل البيت بلا استثناء ومواليهم واتباعهم بلا استثناء يجلون أبا طالب أيما إجلال ويضعونه حيث يستحق من الإيمان وسمو المنزلة عند الله ورسوله، ثم يكفي ان نعرف أيضاً ان كل من اتهمه هو مبغض لأهل البيت أو بعيداً عنهم أو ممن في نفسه شيء على آل رسول الله ﷺ طلباً لحطام الدنيا الدنية.

نعم فمن يتهم أبا طالب عليه السلام هو الكاذب.

وأنت أيها القارئ إن أردت النجاة فياك أن تخالف رسول الله وتترك عترته فتكون من الهالكين؛ لأنه عليه السلام قال: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»^(١) لأنك إن أخذت كتاب الله وتركت عتره رسول الله ضللت لا

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٢٢.

محالة وها هم من تركوا العترة الطاهرة هم من كفرّ عم رسول الله ناصره وحاميه، وآذوا بذلك رسوله حتى بعد وفاته كما آذاه الكثير في حياته؛ لأن رسول الله حي يسمع ويرى بقدره الله ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

واعلم أيها القارئ انك لو اتبعت عترة رسول الله فلن تجد نفسك تعتقد ان أبا طالب كافر والعياذ بالله بل ستجد نفسك معتقداً به كما كان رسول الله وأهل بيته يعتقدون به وتسرب ذلك نبيك، فأبو طالب مقياس للحق وهكذا قال الله لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»^(٣) ورغم ذلك تجد فئة من المسلمين تضرب هذا الحديث عرض الحائط وكأن رسول الله ما قال هذا الحديث وكأن لم يكن، كن فطناً أيها القارئ واعلم ان الفئة التي تكفر أبا طالب هي الفئة المجانبة للصواب.

نعم فأبو طالب في ظلام الليل مقياس يُقاس به الحق من الباطل وما أكثر الإشارات والدلائل لك أيها المسلم لاتباع الحق وكلها تكون عليك حججاً دامغة عليك يوم القيامة.

انتبه واتبع آل رسول الله تنجو وتربح «اني تارك فيكم الثقلين كتاب

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) سورة التوبة: ٦١.

(٣) أسد الغابة، ج ٣، ص ٦٣٠.

هكذا ورد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية.

الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتكم بهما لن تضلوا بعدي أبداً». وهذا أبو طالب يعين على اتباع الحق حتى يومنا هذا كما كان في عهد رسول الله ﷺ فالفتنة التي وقع فيها كثير من المسلمين بتكفيره هل إشارة وتنبيه لهم كي يتركوا الجادة الخاطئة ويرجعوا إلى جادة أهل البيت. نعم فمن يتهم أبا طالب هو الكاذب لا محاله، شخصاً واحداً أو مليوناً أو مائة مليار؛ لأن الحق لا يرتبط بالعدد ألم يقل الرسول ﷺ يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك الوادي الذي سلكه علي^(١). انظر أيها القارئ شخص وقف مقابل العالم كله، لان الحق حق وان تركه كل الناس، والباطل باطل وان اتبعه كل الناس، فما علينا غير اتباع وصايا الرسول ﷺ وهي التي توصلنا للحق، «اتبع كلام رسول الله ﷺ تنجو»، أهل البيت هم سفينة النجاة اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم إذا ركبت السفينة فسترى عجباً من النور، ابحث عنهم من الآن. وهذا رسول الله ﷺ يرشدك والحديث من الصواعق في باب فضائل أهل البيت، قال رسول الله ﷺ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون».

وقال رسول الله ﷺ عن الطبراني: «إني تارك فيكم كتاب الله وأهل

يتي.... فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم
فإنهم اعلم منكم».

وطريق أهل البيت واضح وهو النهج الذي وضعه الإمام جعفر
الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم بلغ اللهم فاشهد.

تم بحمد الله تعالى

الكويت ١ / ذو القعدة ١٤٢٩

٢٠٠٨/١٠/٢١

المصادر

- الصواعق المحرقة لابن حجر.
- مستدرک الصحيحین.
- البداية والنهاية.
- تاریخ ابن کثیر.
- تفسیر الرازی.
- تفسیر البغدادی.
- ذخائر للطبري.
- الغدير للأميني.
- علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي.
- شواهد التنزيل.
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
- شرح نهج البلاغة لمحمد عبده.
- تفسیر البرهان للبحراني.
- تفسیر السيوطي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.

- مسند أحمد.
- صحيح الترمذي.
- سير أعلام النبلاء.
- العقد الفريد.
- مستدرک الحاکم.
- ينابيع المودة للقندوزي.

فهرس الكتاب

الصدق بوابتنا للحقيقة	٥
التفسير الصحيح	٩
التفسير الخاطئ	١٠
حديث عن عظمة الله حسب القرآن وروايات أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ومن نهج البلاغة	١٤
كلكم راع	٢٥
البحث عن الحق واستشراف الحقيقة	٢٨
جوهر الموضوع: (قبس من أبو طالب وعبد المطلب)	٣٥
احتضانه للنبي <small>ﷺ</small> وعظم المسؤولية	٤٤
أبو طالب وإشارات قبل الدعوة	٤٩
إنك المبارك	٥٠
مرحلة الدعوة	٥٥
موقفه من أبنائه علي وعقيل وجعفر	٦١
بش الصفقة ونعم الموالي	٦٦
ثورة أبي طالب عندما افتقد النبي	٦٦
موقف أبي طالب عندما يتعرض النبي <small>ﷺ</small> للأذى والإهانة	٦٨

- ٧١ موقفه وأصحاب النبي ﷺ
- ٧٢ موقفه مع ملك الحبشة
- ٧٤ أبو طالب يتجلى
- ٧٤ في محنة شعب أبي طالب
- ٨١ الخطب الجليل في الرحيل ووصيته الأخيرة
- ٨٣ عام الأحزان
- ٨٦ الإساءة لأبي طالب والهداية الإلهية
- ٨٧ جلسة مع العقل
- ٨٧ الهداية
- ٨٩ الأسس التي يهدي بها الله قوماً ويترك آخرين
- ٨٩ النوع الأول:
- ٩٤ وراثة المظلومية
- ٩٦ الإمام علي عليه السلام
- ٩٦ من هو الإمام علي عليه السلام؟
- ١٢٥ دوافع أبي طالب:
- ١٣٠ محاولات الدس والطعن الواردة ضد أبو طالب:
- ١٣٤ المغيرة بن شعبه كشخص
- ١٣٧ أبو طالب مؤثر يكشف الحقيقة
- ١٣٩ منهج أتباع أهل البيت عليه السلام
- ١٦٠ قضية المهدي المنتظر عليه السلام

- ١٦٢ زيارة قبور النبي والأئمة والأولياء
- ١٦٢ والتوسل بهم إلى الله والتبرك بهم
- ١٦٦ منزلة أبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام
- ١٦٨ ماذا يقول أهل بيت النبي عليه السلام في أبي طالب عليه السلام
- ١٧٠ الإمام زين العابدين:
- ١٧٠ الإمام الباقر:
- ١٧١ الإمام علي:
- ١٧٢ الإمام الصادق:
- ١٧٤ إنصاف عالم سني
- ١٧٥ الإمام الرضا:
- ١٧٧ قول ابن عباس
- ١٧٨ قول أبو ذر
- ١٧٩ وقفة مع العقل
- ١٨٢ وقفات بين العقل والذات
- ١٨٢ ١- موقف العارف:
- ١٨٢ ٢- رؤية المعجزات:
- ١٨٣ ٣- ذم الكافرين:
- ١٨٤ ٤- عاقبة الكافرين:
- ١٨٤ ٥- خطورة القرار:
- ١٨٥ ٦- التضحيات والثلث:

- ٧- الخشية على المكاسب: ١٨٦
- ٨- الفطنة والخسارة: ١٨٧
- ٩- معدن أبو طالب: ١٨٧
- ١٠- ولاء النبي للمؤمنين: ١٨٩
- ((خلاصة الأمر)): مؤمن آل فرعون ١٩٤
- ماذا قال أبو طالب ١٩٩
- ماذا قال الرفيع أبو طالب؟ ١٩٩
- ثمرة الكلام ٢٠٨
- المصادر ٢١٣
- فهرس الكتاب ٢١٥